إهـــــــــداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وأجملنا بالعافية

أتقدم بإهداء عملي المتواضع إلى

الذرع الواقي والكنز الباقي، إلى من جعل العلم منبع اشتياقي، لك أقدم وسام

الاستحقاق إلى أبي الكريم أطال الله عمرك .

رمز العطاء وصدق الإيباء ، إلى ذروة العطف والوفاء ، لك أجمل حواء ،أنت أمي الغالية أطال الله عمرك .

إلى عون الحاضر و سند المستقبل الذي لا عيش بدونه ولا متعة إلا برفقته أخي العزيز

وإلى رمز الصداقة وحسن العلاقة زملاء الدراسة و خريجي المدرسة العليا للأساتذة كل باسمه أعانكم الله على شرف التعليم و بناء الأجيال .

إلى الزملاء

وفي الأخير يا رب ..

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليأس إذا فشلت بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجربة الذي تسبق النجاح أمين يا رب العالمين

خرابي سنية.

إهـــــــــــداء

أهدي هذا العمل إلى من قال فيهما

"واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا "سورة الإسراء الآية 24.

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما ،

إلى الإخوة والأخوات ، إلى كل الأهل والأقارب ،

إلى جميع الأصدقاء،

إلى كل من عرفته من قريب أو بعيد،

إلى من رفعوا رايات العلم والتعليم

أساتذتي الأفاضل،

إلى كل من سقط سهوا من قلمي ولم يسقط من قلبي.

قايد رشيدة.

شكر وتقدير

بعد أن من الله علينا بانجاز هذا العمل ، فإننا نتوجه إليه الله سبحانه وتعالى أولا وأخرا بجميع ألوان الحمد والشكر على فضله وكرمه الذي غمرنا به فوفقنا إلى ما نحن فيه راجين منه دوام نعمه وكرمه ، وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم :"من لا يشكر الناس لا يشكر الله "،فإننا نتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذة المشرفة "**معزوز خيرة**" ،على إشرافها على هذه المذكرة وعلى الجهد الكبير الذي بذلته معنا ، وعلى نصائحها القيمة التي مهدت لنا الطريق لإتمام هذه الدراسة، فلها منا فائق التقدير والاحترام ، كما نتوجه في هذا المقام بالشكر الخاص لأساتذتنا الذين رافقونا طيلة المشوار الدراسي ولم يبخلوا في تقديم يد العون لنا وخاصة الأستاذ **بوصوار** .

وندين بالشكر أيضا إلى كل عمال جامعة احمد بن يحيى الونشريسي ،الذين ساعدونا من خلال تقديم جميع التسهيلات ومختلف التوضيحات والمعلومات المقدمة من طرفهم لانجاز هذا البحث .

وفي الختام نشكر كل من ساعدنا وساهم في هذا العمل سواء من قريب أو بعيد حتى ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة عطرة.

الملخص

تهدف الدراسة إلى التعرف على أهم الدراسات اللغوية المعاصرة التي تطرق إليه الدكتور نايف خرما في كتابه، وقد تم التعرف على مختلف القضايا المدروسة بجزئياتها وتفاصيلها حيث قام الدكتور بتحليلها تحليلا علميا، بالإضافة إلى دراسة تحليلية مقارنة لما توصل إليه الدكتور مع دراسات لباحثين آخرين بالتطرق إلى نقاط الاتفاق و الاختلاف بينهم، و ذلك للوصول لنتائج دقيقة.

وقد اعتمدنا في الدراسة على المنهج التاريخي وذلك عند تتبع الدراسات التاريخية و كيف تطورت على مر العصور و كيف أدى هذا التطور إلى تغير في نتائج الدراسات، كما اعتمدنا المنهج التحليلي في دراسة الظواهر و المواضيع التي ناقشها الدكتور،حيث قسمت الدراسة إلى جانب لتلخيص الكتاب وجانب للدراسة و التحليل الذي تم فيه التحليل والمقارنة.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- مدى توسع الدراسات اللغوية منذ القدم إلى العصر الحالي .
- تطور نتائج الدراسات اللغوية و مناهج البحث فيها.
- ظهور مدارس لغوية جديدة و تأثرها بالمدارس السابقة لها سواء بنفي نتائجها و نقدها أو بإثباتها.
- صعوبة البحث في الأمور المجردة كالتفكير والذكاء...
- استمرارية البحوث والدراسات منذ العصور السابقة وإلى أجل غير مسمّى.
- أهمية الدراسات اللغوية التي تعادل أهمية اللغة نفسها التي تشكل مادة البحث.
- التعرف على استقلالية البحث اللغوي و مناهجه عن البحوث الأخرى.
- تعاون كل العلوم في الدراسات اللغوية كعلم الاجتماع، علم الأجناس، علم النفس...الخ

Summary

The study aims to identify the most important contemporary linguistic studies that Dr. Nayef Kharma touched upon in his book, and the various studied issues were identified in their parts and details, as the doctor analyzed them scientifically, in addition to an analytical study compared to what the doctor reached with studies of other researchers by addressing the points Agreement and disagreement between them, in order to reach accurate results.

In the study, we relied on the historical method when tracing historical studies and how they developed over the ages and how this development led to a change in the results of the studies. We also adopted the analytical method in studying the phenomena and topics discussed by the doctor, where the study was divided into a side to summarize the book and a side For the study and analysis, which was analyzed and compared.

The study reached a set of results, the most important of which are:

• The extent of the expansion of linguistic studies from ancient times to the present era.

• Development of the results of linguistic studies and research methods therein.

• The emergence of new language schools and their influence on the previous schools, whether by denying, criticizing or proving their results.

The difficulty of researching abstract matters such as thinking and intelligence...

• Continuity of research and studies since previous ages and for an indefinite period.

• The importance of linguistic studies, which is equivalent to the importance of the language itself that constitutes the research subject.

• Recognizing the independence of linguistic research and its methods from other research.

• The cooperation of all sciences in linguistic studies such as sociology, anthropology, psychology...etc

فهرس المحتويات

قائمة المحتويات	رقم الصفحة
الشكر والعرفان	I
إهداء	II
ملخص الدراسة باللغة العربية.	III
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية.	IV
فهرس المحتويات	V
بطاقة الفنية.	VI
التعريف بالكاتب.	VII
مقدمة	ب
الفصل الأول:تلخيص الكتاب	
الباب الأول: ما جدوى هذه الدراسات اللغوية؟	
المطلب الأول: اللغة كوسيلة اتصال	09
المطلب الثاني:تعليم اللغات	13
الباب الثاني: الاهتمامات اللغوية الحديثة.	
المطلب الأول: أهمية اللغة.	17
المطلب الثاني:اللغة نظام في غاية التعقيد.	19
المطلب الثالث: اللغة محور الدراسات الإنسانية.	21
المطلب الرابع: نبذة عن الدراسات اللغوية القديمة.	23
المطلب الخامس: الاتجاهات اللغوية المعاصرة.	25
المطلب السادس: المنهج العلمي ومدى انطباقه على الدراسات اللغوية الحديثة.	30
الباب الثالث: طبيعة اللغة.	
المطلب الأول: النظريات الحديثة في طبيعة اللغة البشرية.	31
المطلب الثاني: لغة الحيوان.	32
المطلب الثالث: هل اللغة طبع أم تطبع؟	34
المطلب الرابع: الدليل البيولوجي على المقدرة الفطرية.	37
المطلب الخامس: هل يمكن أن تتعلم الحيوانات اللغة؟	40
المطلب السادس: كيف يصدر الكلام عن المتكل وكيف يفهمه السامع؟	42

الباب الرابع: اللغة والمجتمع.	
المطلب الأول: الشكل والوظيفة.	42
المطلب الثاني:وظائف اللغة.	42
المطلب الثالث:اللغة والفكر.	48
المطلب الرابع: اللغة والحضارة.	49
المطلب الخامس: اللغة والفرد.	50
المطلب السادس: اللغة واللهجات.	51
المطلب السابع: اللغة والتباين الاجتماعي.	52
المطلب الثامن: اللغة والسن.	55
المطلب التاسع: اللغة والجنس.	56
الباب الخامس: تركيب اللغة و أنظمتها المختلفة.	
تمهيد.	56
المطلب الأول:النظام الصوتي.	57
المطلب الثاني:النظامان الصرفي والنحوي.	62
الفصل الثاني : دراسة وتحليل	
تمهيد	75
المطلب الأول : لغة الحيوان.	76
المطلب الثاني :اللغة طبع أم تطبع؟	79
المطلب الثالث : اللغة والمجتمع.	83
المطلب الرابع :اللغة واللهجات.	84
المطلب الخامس: اللغة والجنس.	87
الخاتمة	92
قائمة المراجع	

بطاقة تقنية للكتاب

01- الدراسة الظاهرية:

- **اسم المؤلف**: د. نايف خرما.
- **عنوان الكتاب**: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة.
- **عدد الصفحات**:279.
- **حجم الكتاب**: متوسط .
- **سلسلة**: عالم المعرفة
- **مكان النشر**: الكويت.
- **تاريخ النشر**: سبتمبر 1978.
- **إشراف**: أحمد مشاري العدواني.
- **الوصف الخارجي للكتاب**: الكتاب من الحجم المتوسط ذو لون وردي فاتح، مع شريط أزرق عمودي على حاشية الكتاب اليمنى كتب عليه الاسم الكامل للسلسة، و الجهة العلوية بيضاء كتب على يسارها اسم السلسة و يتوسط الكتاب بخط أسود عريض عنوان الكتاب و في أسفل الصفحة اسم المؤلف.

02- محتوى الكتاب:

- **عدد الفصول**:خمسة فصول.
- **المراجع**: تنويع في المراجع التي كانت أغلبها أجنبية.

03-الدراسة الباطنية:

- **مطابقة العنوان للمحتوى:** ولأن "**العنوان عتبة النص**" كما قال **رولان بارت** يتضح للقارئ من العنوان أن الدكتور يسلط الضوء على الدراسات اللغوية المعاصرة و هذا بالضبط ما ركّز عليه الدكتور نايف خرما، إلا أنه قد أشار في مواضع متفرقة من كتابه إلى الدراسات القديمة و الحديثة كذلك, و هذا ليضع القارئ في صورة تطور مناهج الدراسات و موضوعاتها وحتى نتائجها. فعنوان الكتاب هنا يفرض نفسه منذ البداية فهو لغز ملغم يختزل مضمون الكتاب في بضع كلمات.
- **أهمية وقيمة الكتاب:** يعتبر هذا الكتاب كنزا حقيقيا بالمعنى الحرفي للقارئ سواء كان عالما، أم باحثا لغويا، أم قارئا و ذلك لأنه جمع كل الدراسات والبحوث والتجارب اللغوية والنتائج التي توصلوا إليها في هذا العصر و وضعها للقارئ في قالب طريف بأسلوب جمع بين الدقة و الموضوعية و السهولة لا يخلو من المصطلحات الفنية التي شرحها و بسطها بأسلوب مباشر و واضح.
- **نقد الأفكار والأسلوب:**لقد كان هذا الكتاب موجهة إلى القراء عامة و ليس المثقفين فقط، و قد استخدم الدكتور نايف خرما أسلوبا مناسبا يسيرا للفهم على هذه الفئة فهو لم يبتعد عن البساطة إلى التعقيد رغم استخدامه للمنهج العلمي ،التاريخي، التحليلي الذي يفرض على الباحث استعمال المصطلحات التقنية التي لم يستعملها بكثرة و شرحها و بسطها عند كل استعمال، بل فضّل استعمال الأسلوب المباشر البسيط ليصل إلى هدفه وهو إفادة القارئ بالدراسات والبحوث اللغوية.كما أنه لم يطل في الشروحات في كل موضوع بل اكتفى بالنقاط الرئيسية فيها لأنه تطرق للكثير من المواضيع المهمة التي حاول أن يلم بكل الجوانب الرئيسية فيها.و رغم الأخطاء المطبعية الموجودة في الكتاب إلا أن وزن الكتاب المعرفي غطّى على هذه الأخطاء.

التعريف بصاحب الكتاب

ولد الدكتور نايف نمر في صفد سنة 1925، و هي منطقة ضارب اسمها في أعماق التاريخ، كانت بمثابة عاصمة الجزء الشمالي من فلسطين أيام الحكم العثماني، تلقّى بداية تعليمه في صفد حيث درس المرحلة الابتدائية و التي كانت مشتركة مع المتوسط فهما مدرسة واحدة إلى الصف السابع ثم انتقل إلى الثانوية حيث حصل على الثاني ثانوي ثم تم اختياره ضمن الطلبة المنتخبين على مستوى فلسطين إبان الانتداب البريطاني، وهؤلاء الطلبة الأوائل المميزون يلتحقون في كلية دار المعلمين بالقدس و هي المنارات العلمية ، فهي ذات مقام انجليزي يهيئ الإطارات العلمية حيث يلزم الطالب بالإقامة في السكن الداخلي المعدّ لهم، ويتبع جميع النظم واللوائح التي كانت تطبق بصرامة ، ويقضي الطالب حياته العلمية والعملية، هكذا صقل نايف خرما مواهبه،فالنبوغ والذكاء الذي كان يتمتع به منذ نعومة أظافره والذي كان يظهر جليّا خلال مراحله التعليمية الأولى في صفد وحبه للعلم و التعلم ساهمت كلية دار المعلمين بصقله حيث وجد نفسه في هذه المنارة العلمية التي تجمّعت بها الكفاءات العلمية والمناهج المميزة ، فيها دراسة أصول التربية وما يتعلّق بها كما لها صلة بالمواد التاريخية والجغرافية وعلم الأحياء وشعبها، و اللغة العربية وأقسامها، و قد نهل من كل هذه العلوم كونه مقيما في السكن الداخلي فكان الاطلاع والقراءة جزءا من حياته في دار المعلمين في القدس، وكانت دراسته بها مدة أربع سنوات مقسمة إلى سنتين كإكمال للتحصيل الثانوي، و سنتين دراسة تخصصه في جميع العلوم، و قد ساعده الجو العلمي في هذه الكلية على اختصار الجهد والوقت.

التعيين:

حين تم تخرجه من دار المعلمين بالقدس سنة 1942 عاد إلى بلده وكان مهيأ لتدريس جميع المواد المنوطة في التدريس كاللغة ، و قد كلف بتدريس مادة اللغة الانجليزية وكانت هذه المادة هي المحببة إليه ، وتدريسه كان لطلاب المرحلة الثانوية، قضى معهم عاما دراسيا كان له الأثر الكبير في تحصيل الطلبة العلمي ورفع مستواهم.

مسيرته المهنية:

كانت البلدية كما هي اليوم الإدارة التي تدير شريان الحياة فكل ما يتعلق بمصالح النّاس له ارتباط بها في كل مناحي الحياة على اختلافها وتنوعها، وقد كان هناك امتحان على مستوى قطاعات فلسطين في تلك الأيام لاختيار "**مدير الأعمال الإدارية**"، و هو منصب يتطلب من المترشح أن يتصف بكثير من القدرات الذاتية والعلمية و المكانة الاجتماعية المرموقة، وقد تقدّم نايف خرما لهذا المنصب و تمّ اختياره من طرف اللجنة . وقد كانت رئاسة المجلس البلدي الذي يدير شؤون البلدية محط نزاع العائلات. وقد تفاقم هذا النزاع ما دعا الحكومة إلى حل المجلس البلدي وإحالة أعماله و إدارة البلدية إلى نايف خرما بصفته مسؤولا عن الأعمال الإدارية.

ثم أسس نايف خرما مع مجموعة من زملائه الشباب ناديا في صفد لاستقطاب الإطارات الإطارات الشبابية بجميع ميولهم الثقافية، الرياضية، والسياسية، ثم التحق باللجنة القومية التي كان لها نشاط في مواجهة العدوان اليهودي وعمل سكرتيرا لها.

حصل بعد ذلك على تفرغ من عمله في وزارة التربية مدة سنة ونصف التي هيأت له الذهاب إلى لندن و الالتحاق بجامعتها، ليواصل تعليمه ويتحصّل على شهادة الدكتوراه التي أخذها في مدة وجيزة، وبعد عودته من لندن ساهم في تأسيس مركز للغات وأصبح مديرا له سنة 1973. ثم انتقل إلى جامعة الكويت، كلية الآداب،قسم اللغة الانجليزية، ودرّس بها وحين غادرها سنة 1990التحق على الفور بالجامعة الأردنية.

آثاره العلمية:

للدكتور نايف خرما الكثير من الآثار العلمية وجميعها تركز على تخصصه بأدب اللغة الانجليزية، ودراسة علومها والترجمة، وما يتعلق بالتدريس، ومواكبة تطوّر اللغة، و من آثاره التي لا تزال تدرّس و تعتبر منهلا لطلبة العلم كتابه "**أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**" وكذلك كتابه "**اللغة الأجنبية تعليمها وتعلمها**" و "**مادة اللغة العربية الاستدراكية**" و "**مهارات التعبير الكتابية**".

و قد أوكل للدكتور نايف خرما ترجمة كتاب "**أبناء السندباد**" و هو عمل تراثي جليل عظيم الفائدة، يؤرخ للملاحة والرحلات البحرية الكويتية القديمة، وقد امتازت الكويت بها وهي من ربطتها بالعالم الخارجي.

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمان الرحيم و الصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن الشخص لا يعرف أنه عندما نرى اجتهاده في عمله وما يقدّمه للبشرية، حيث يتم تحليل أعماله وتبقى شاهدة عليه ، فإذا تحدثنا عن "**صفد**" وهي بلدة عربية فلسطينية أنجبت علامة و مفكر عربي من خيرة أبناء فلسطين هو الدكتور "**نايف خرما**"، الذي ألف كتاب "**أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**"، الذي طالما اعتبر منهلا لطلبة العلم، و هو يمثل موضوع دراستنا اليوم.

وقد سلط د.نايف خرما في كتابه هذا الضوء على "الدراسات اللغوية المعاصرة" ، و هو موضوع مهم ذو قيمة يعرِّفنا بمدى اتساع الدراسات اللغوية الحديثة و على فروعها و اتجاهاتها المتعددة ، و يحتوي مسائل و أسئلة بدأت تثار منذ ربع القرن الماضي ، غير أن الكتاب لا يحتوي إجابات عن كل المسائل و ذلك لأن الأبحاث في الأوجه المختلفة للموضوع مستمرة لا تنقطع ، و لهذا فإن الإجابات القاطعة عن كثير من الأسئلة الهامة لا زالت غير متوفرة ، فهناك آراء و نظريات و فرضيات و نتائج أبحاث و تجارب كثيرة جديدة، جلها مازال مفتوحا لمزيد من الدراسة و البحث و المناقشة و التجربة. و مما يزيد الأمر صعوبة كذلك هو أن جميع الأبحاث اللغوية الحديثة تقريبا تتم باللغات الأجنبية . حتى أن الباحث العربي مضطر لكتابة أبحاثه بلغة أجنبية لكي يفهمها من يشرف عليها و يناقشها.

و نظرا لأهمية الكتاب و مدى وزنه المعرفي و فائدته العلمية ، و كوننا طلبة تعليمية اللغات رأينا أن هذا الكتاب يخدمنا كثيرا و نحن بحاجة لمادته العلمية فأردنا تلخيص محتواه في نقاط هامة تفيد أي دارس و دراسة أهم هذه النقاط . و ذلك بهدف التعرف على مدى اتساع الدراسات اللغوية الحديثة و الاستفادة من النتائج المتوصل إليها.

كما قام الدكتور بتقسيم كتابه إلى توطئة يعرِّف فيها القارئ على الكتاب و محتواه المعرفي و العوائق التي واجهته أثناء التأليف ، أما الفصول فقد قسم كتابه تبعا للظواهر التي تطرق إليها إلى خمسة فصول:

- **الفصل الأول**: لماذا هذه الدراسات اللغوية؟
- **الفصل الثاني**: الاهتمامات اللغوية الحديثة.
- **الفصل الثالث**: طبيعة اللغة.
- **الفصل الرابع**: اللغة والمجتمع.
- **الفصل الخامس**: تركيب اللغة وأنظمتها المختلفة.

و كل فصل يحتوي عناوين لأهم المواضيع اللغوية التي تمت دراستها و البحث فيها في العصر الحديث، كما أنهى كل فصل من كتابه بقائمة مراجع اعتمدها ، و ختم الكتاب بتعريف موجز له .

و قد انتهج المنهج التحليلي التاريخي في دراسة الاهتمامات اللغوية و تركيب اللغة...الخ ، فقد فصل في كل الأبحاث اللي تطرق إليها. و كيفية تغير مناهج و نتائج هذه البحوث على مر السنوات و في كل مجتمع، و قد كان أسلوبه مباشر و بسيط لا يخلو من التكليف و المصطلحات الفنية التي شرح بعضها بطريقة سهلة بسيطة تمكن القارئ من فهم و استيعاب جزئيات الكتاب بأسلوب لا يخلو من الدقة و الموضوعية.

إذا ما هي المواضيع التي تطرّق لها نايف خرما في كتابه؟ و هل اقتصر على الدراسات المعاصرة فقط؟ و هل كان موضوعيا في دراساته؟ و ما المنهج الذي استخدمه في دراساته؟ و بم تميّزت دراساته عن دراسات باقي الباحثين؟ وما هي النقاط التي ركّز عليها في دراساته؟ هذا كل ما سنتطرق إليه في بحثنا.

وقد حاولنا بكل استطاعتنا الاستفادة و الإفادة من هذا الكتاب الشيّق عظيم الفائدة، عن طريق تلخيص أهم ما جاء فيه من قضايا مدروسة بطريقة علمية في الفصل الأول وكذلك دراسة تحليلة مقارنة لبعض القضايا المهمة في الفصل الثاني. وانتهجنا في ذلك المنهج التحليل المقارن الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع و يخدمنا في تحليل القضايا والمواضيع اللغوية التي تطرق لها الدكتور. كما قد اعترضتنا صعوبات أهمها ضيق الوقت و كثرة الالتزامات ، و مما زاد الأمر صعوبة هو كثرة البحوث في الدراسات اللغوية

القديمة فقط، لكن نحمد الله على أن استطعنا أن نقوم ببعض من واجبنا، فإن أصبنا فهذا توفيق من الله و إن أسأنا فمن أنفسنا.و في الأخير نشكر الأستاذة معزوز على النصائح القيمة التي أفادتنا بها وعلى مساعدتنا في الاختيار الموفق لموضوع الدراسة.

و الله ولي التوفيق.

الفصل الأول:

تلخيص الكتاب

الباب الأوّل:

ما جدوى هذه الدراسات اللغوية :

قبل الغوص في مجال الدراسات اللغوية الذي يعتبر مجالا واسعا بلا حدود يجب علينا أولا أن نبحث في أهمية هذه الدراسات للغة التي تعتبر أهم مظهر من مظاهر السلوك البشري،لذا فكل من يجد في نفسه الميل والكفاءة والاستعداد أن يقوم بدراسة أي موضوع يتعلق بأي مظهر من نواحي هذا الكون المليء بالأسرار فليقم بذلك، "**ولا ريب أنّ أهم من يدب على ظهره هو الإنسان وأنّ اللّغة هي أهم مظهر من مظاهر سلوكه إذا هي الأكثر جدارة بالدراسة والبحث من غيرها**[1]". وقد حاول العديد من المفكرين إزالة الغموض عن هذا السر إلا أنهم لم يتمكنوا من هذا كليا فقد استطاعوا الوصول إلى نتائج منطقية أحيانا بينما بقيت هناك أسئلة كثيرة بدون إجابات نهائية . وقد كانوا يهدفون أيضا إلى تعليم تلك اللّغة لأطفال المسلمين العرب وغير العرب وذلك لكي لا تضيع علاقتنا بديننا وتراثنا بل بقوميتنا العربية من أساسها. إن الدراسات اللغوية فوائدها تعادل في أهميتها أهمية اللّغة نفسها التي تكون مادة البحث وتستعمل على جميع هذه الفوائد ومحاولة تصنيفها في هذا الفصل.

***عندما تضطرب الأمور :**

يمكن أن تحدث بعض الاضطرابات من بينها ما يصيب أجهزة الإنسان ذات علاقة باللّغة مثل البصر أو غيره من الحواس التي لها أهميتها في اكتساب اللّغة، ولكن الباحثين لو يولوا هذا الأمر الاهتمام الكبير و ذلك لأنهم وجدوا أن معظم الأطفال المكفوفين يكتسبون اللّغة بطريقة طبيعية فقد كان اهتمامهم بالشكل المكتوب اللّغة لا المنطوق منها ولمعالجة هذا الأمر عند المكفوفين ، اخترعت طريقة بريل Braille المعروفة. إضافة إلى توافر أجهزة التسجيل في العصر الحاضر زاد من إمكانية

[1] - د.نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص14.

إفادة المكفوفين كالكتب المسجلة إلا أن "**كلا الطريقتان محدودتان بالطبع لا تغنيان عن البصر تماما**".[1]

أما الصم البكم فمشكلتهم أكبر بكثير، فهؤلاء تواجههم صعوبة كبيرة للغاية في أنهم لا يسمعون الأصوات لكي يتمكنوا من إصدار مثيلاتها ومن فهمها، لذلك يظلون عاجزين عن النطق، إلا أن هناك وسائل عديدة للتخفيف من مصابهم وكلها تعتمد على محاولة تعليمهم قراءة الشفاه لفهم ما يقال. وهذه الطريقة تعتمد على المواجهة لرؤية المتكلم كما أن هناك رموزا مرئية تعتمد على الجسم واليدين بشكل خاص اخترعت العديد منها في بلدان عدة أشهرها لغة الصم البكم الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية.

بالإضافة إلى الحالات التي ذكرت حتى الآن هناك بعض الأطفال الذين يولدون بحلوق مشقوقة أو بدون ألسنة، وقد تبين أيضا أن بإمكان هؤلاء الأطفال أن يكتسبوا اللّغة بدون صعوبة رغم عدم قدرتهم على النطق.

وقد تبين من الأمثلة المرضية السابقة أن عدم توافر القدرة على الرؤية أو النطق ليس سببا يمنع من اكتساب اللّغة بأشكال مختلفة ومع أن كلا من الكلام و اللّغة يعتمد على وجود أجهزة بيولوجية في الجهاز العصبي المركزي للجسم ومكانة الدماغ ، إلا أن معظم العلماء المختصين في هذا المجال المتصل باللّغة والدماغ يعتقدون أن اللّغة أساسية أكثر من النطق والكلام .

يقول لنبرغ (Lenneberg:"**أن واحد من الاكتشافات في السنوات الأخيرة هو أن بإمكان الأطفال الذين لم تتح لهم الفرصة للكلام من قبل ولم يتعدوا سنا معينة أن يكتسبوا اللّغة إذا نمو في جو عادي يسمعون فيه كلام الناس ويتعاملون معهم، حتى وإن كانوا لم يتمكنوا من النطق كالبشر العاديين**".[2]

فلقد كان الناس ينظرون إلى أمثال هؤلاء على أنهم متخلفون عقليا ولكن هذه النظرة بدأت الآن تختلف الآن، وأصبح بالإمكان فحص القدرة اللّغوية الكامنة عند الأطفال بأساليب متطورة وحديثة،

[1] - د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 17

[2] . eric lenneberg. « Boilogical aspects of language in g. miller psychology and communication.voice of america. 1974.p 66.

"**وقد أثبتت الدراسات بطلان الاعتقاد السابق بوجود علاقة بين اللّغة وحجم الدماغ، فهناك بعض الأقزام الذين لا يزيد طول أحدهم عن 85 سنتمترا، وحجم الرأس صغير عن رأس طفل صغير جدا، ومع ذلك فجميعهم يتقنون لغة واحدة على الأقل**"[1]. ولكن من الثابت طبعا هو أن الدماغ مركز اللّغة وأن المنطقة اليسرى منه هي بالذات مسؤولة عن اللّغة، ومن أهم الدراسات هي ما يقوم به أطباء الدماغ والأعصاب و بتعاون مع علماء اللغة للتعريف علي طبيعة اللغة و تعقيداتها المختلفة من ناحية و محاولة تحديد أدق مناطق الدماغ التي تكون مختلفة عن مهارات لغوية معينة ،و من النتائج التي يمكن أن تخرج بها هذه الأبحاث هي معرفة معالجة بعض الحالات المرضية الناتجة عن اضطرابات الدماغ لسبب ما ،كما يمكن لهذه الدراسات أن تساعد علي معرفة مظاهر اللغة التي يمكن أن تكون قد تضررت بسبب الضربة مثلا و ذلك بتحديد المنطقة المصابة و معرفة اختصاصها بالنسبة للغة، و هذا ما يساعد طبعا علي علاج المصاب بتنمية المهارات الأخرى

و بدراسة أدمغة المصابين باختلاف إصاباتهم إضافة إلي أساليب حديثة تستعمل للتجريب علي أدمغة غير المصابين ،تبين مثلا :

1- أن ذلك الجزء الواقع في المنطقة اليسرى من المخ المسمى بمنطقة بروكاBroks هو الجزء المسؤول عن برمجة الكلام أو النطق بشكل خاص بحيث أن إصابته ينتج عنها اختلاف كبير في النطق و في تركيب الجمل حتى وإن كان دون فقد القدرة اللغوية .

2- أن الجزء الأخر من المخ الذي يسمى منطقة فرينهWsrnicks يبدو مسؤولا عن القدرة اللغوية لا عن النطق لأنه إذا أصيب لا تتأثر طلاقة المريض الشفوية . و المصاب يجد صعوبة في إيجاد الكلمات المناسبة للمواقف المختلفة ،كما يجد صعوبة في الكتابة و فهم ما يسمع أو يقرأ.

وهذان النوعان من الاختلال هما مظهران من مظاهر الاضطراب المسمى بالحبسة Aphasia الذي اكتشفت منه أنواع مختلفة حتى الآن، وإن كان النوع الثاني المذكور هنا هو الأكثر شيوعا بالتأكيد .

[1] - د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص20.

وربما كان من أنواع الحبسة في النوع الثاني أن يفقد المريض السيطرة على الكلام، أي ينطق بالكلام المتواصل الذي لا معنى له ولا يستطيع أن يتوقف إلا بصعوبة بالغة وهذا المصاب يجد غالبا صعوبة في الفهم وفي الكتابة والقراءة أيضا .

إن أعراض جميع الإصابات التي تمت دراستها حتى الآن تتبع نمطا معينا ومبادئ عامة تتمثل في ما يلي :

– إن إصابة بعض الألياف الدماغية تسبب في خسارة أجزاء مختارة من اللّغة كأن تختفي بعض الكلمات أو بعض القواعد مثلا من لغة المصاب، بينما تبقى كلمات وقواعد أخرى.

– إن الإصابة لا يمكن أن تلغي القدرة اللّغوية إلغاءا كاملا بينما يبقى المصاب طبيعيا في نفس الوقت مع جوانب أخرى.

– أن ما يميز جميع إصابات الحبسة أنها لا تقضي على اللّغة قضاء تاما بل تسبب خللا في وظيفتها الطبيعية وفي استعمالها.

"**لذلك فالأطباء يتجهون الآن في علاج المصابين بالحبسة لا عن طريق إعادة تعليمهم اللّغة كما تعلم اللّغة الأجنبية للطلاب بل عن طريق اكتشاف تلك المهارات بتنميتها بشكل يمكن أن تعوض فيه إلى حد ما عن الخلل الذي طرأ على لغة المصاب**"[1] وما سبق ذكره على الأطفال ينطبق على الأطفال دون 14 سنة ، من عمرهم فقد تبين أن بإمكانهم استعادة أية مقدرة لغوية يفقدونها بسبب إصابات الحبسة بعكس البالغين الذين عادة ما يفقدونها إلى الأبد، وتتضاءل هذه الإمكانية إلى أن تتوقف قبل سن العشرين سنة من العمر. كما أن النمو اللغوي نفسه يسير ببطء مسايرا في ذلك النضوج الجسماني العام. وعندما يتوقف هذا النضوج حوالي الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من العمر يتوقف على نمو اللّغة ولما تبلغ مرحلة الكمال التي تبلغ في الناس الأسوياء قبل ذلك بسنوات طويلة، فيبقى مستوى اللّغة عندهم على حاله.

[1] - - د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص22.

يقول براندان ماهر Branden Maher :"**أن الاهتمام بالعلاقة بين اللّغة وبين علم الأمراض النفسية قد زاد كثيرا في الآونة الأخيرة بعد أن تبين في لعلماء النفس المعاصرين مدى المبالغة الشديدة في نظريات فرويد وأسلوب التحليل النفسي الذي ابتدعه لمعرفة أسباب الأمراض النفسية المختلفة لعلاجها**[1]".

ومن مجالات هذا الاهتمام مثلا العلاقة بين اللّغة والمصابين بالمرض النفساني المعروف بالفصام أو انشطار الشخصية وهنا يستفيد الأطباء النفسانيون من بعض ما توصل إليه علماء اللّغة وغيرهم من مفاهيم تتعلق بكمية المعلومات التي يحملها تعبير أو جملة معينة. لقد دلت تجارب على أن لغة هؤلاء المصابين بمرض الانفصام تتميز بأن الكلام يقل عند الإنسان السوي لعدم استفادتهم من السياقات اللّغوية في ما سبق من ذلك الكلام.

كما أن تجارب أخرى أظهرت أن مشكلة هؤلاء المرضى هي عدم المقدرة على التركيز، وسرعة تشتت أفكارهم من موضوع إلى آخر. يقول أحدهم :" **عندما يتكلم الناس معي فكأنهم يتكلمون لغة أخرى فمن الصعب علي أن أستوعب ما يقولون مرة واحدة، فرأسي يزدحم بكلام فوق ما يتحمل، ولذلك فإني لا أفهم ما يقولون بل أني أنسى ما أسمعه في الحال لأني لا أستطيع أن أستمع إلى كلامهم لمدة كافية، وكأن ما أسمعه يتألف من أشياء مبعثرة تحتاج إلى تجمع مرة ثانية في الذهن** [2]".

وخلاصة ما يمكن قوله بالنسبة للفصام حتى الآن أن النظرة قد اختلفت من اعتباره مرضا عقليا ومعالجته على هذا الأساس إلى اعتباره مرضا لغويا له علاقة بالعقل واللغة على سواء، ولكن الأبحاث لازالت مستمرة للبحث عن علاج.

كما أنه ليس من الممكن استخدام اللّغة استخدامين أحدهما حسن يهدف إلى إيصال الأفكار السليمة إلى الآخرين. والأخر سيء يقصد منه إيصال المفاهيم ليست كلها جيدة بالضرورة إلى

---

[1] - Branden Maher.language and psycopathology . in g miller .p 289.

[2] – نفس المصدر السابق.ص293.

الأخرين قصد التأثير عليهم هنا ندخل في مبحث جديد واسع هو مبحث الاتصالات الذي تفرع إلى عدة مباحث فرعية مختلفة بغض النظر عن الدراسات اللّغوية، منها ما يعتمد على لغتها مضافا إليها بعض النظريات اللّغوية. ولذلك يحسن أن نبحث هذا المظهر أو الوظيفة الخاصة باللّغة وهي وظيفة الاتصال بأنواعه في جزء خاص من هذا الفصل وهذا ما سنفعله في الصفحات القليلة التالية.

اللّغة كوسيلة للاتصال :

لم يتوصل العلماء لتعريف دقيق للغة فقولهم أنها وسيلة اتصال بين البشر ليس بالتعريف الدقيق فهناك وسائل اتصال غير لغوية كما أن الاتصال ليس مقتصرا على البشر فقط، كما أن للغة وظائف أخرى عديدة أهمها الاتصال والتحدث عن وظيفة اللّغة كوسيلة اتصال بين الناس يحيل إلى الحديث عن ثلاث أشياء مختلفة.

أولا : هناك ما نسميه في زماننا بالاتصالات السلكية واللاسلكية التي أصبحت جزءا هاما من حياتنا المعاصرة.

ثانيا :هناك الناحية الرياضية والحسابية للّغة.

ثالثا :هنالك الناحية التي تتعلق بوظائف اللّغة. Langauge fonction الخاصة بالوظائف التي تتعلق بالتعامل مع الجماهير ومحاولة التأثير عليها وإقناعها.

أما الاتصالات السلكية واللاسلكية فهي تعتمد بالدرجة الأولى على تحليل وقياس اللّغة البشرية وتحويله من طاقة إلى طاقة أخرى وطبيعة الصوت ليست مما يختص به علماء اللّغة بوجه خاص فبعضهم ممن يختص بعلم الأصوات يساهم في هذا النوع من الدراسة.

"**أما دراسة طبيعة الصوت أثناء مروره في الهواء فهي من اختصاص علماء الطبيعة (الفيزياء) وهم الذين قاموا ومازالوا يقومون بالتجارب والأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع ولذلك فعلمهم ونتائج دراساتهم لا تدخل في نطاق علوم اللّغة بمعناها الدقيق**"[1] أما نظرية الاتصال، تعتمد بشكل

[1] – د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص27.

خاص على الرياضيات جاء بها المهندسون المختصون بتصميم الدوائر الكهربائية اللازمة لشبكة الهاتف والتلغراف، بهدف إنتاج معدات ذات حد أقصى من الكفاءة في استعمال القنوات.

وقد اتفق على قياس المعلومات Bit أو Binit كما اتفق على أن سمة نظام الاتصال تعتمد على إشارتين اثنين فقط، احتمال وقوع كل منهما في سياق معين مساو للآخر. ولكننا في هذا النظام افترضنا أن احتمال وقوع كل إشارة في السياقات المختلفة مساو للإشارة الأخرى وهذا عمليا غير صحيح، نأخذ على سبيل المثال ذلك الجهاز المستعمل في المحلات التجارية للإنذار من اللصوص، نجد أن هذا النظام يعمل باعتماد إشارتين فقط هما الصمت وقرع الجرس، ولكن احتمال قرع الجرس أقل بكثير، لأن الجرس لا يقرع إلا في الحالات النادرة عند مهاجمة اللصوص للمحل ولذلك فإن نقول أن قرع الجرس ذا الاحتمال المنخفض يعطي من المعلومات أكثر بكثير من إشارة الصمت العالية الاحتمال.

لذا "**إن المنهج المستعمل في هذه النظرية قد استعمل أحيانا لمحاولة التوصل إلى بعض الخصائص اللّغوية. من أهمها خاصية الفائض التي أمكن حسابها بدقة، والتي لولاها لما استطعنا فهم ما يقال لنا بسبب الضجة التي يتعرض لها الصوت أثناء مروره بالهواء وقبل وصوله إلى الأذن**"[1]، ومن أمثلته أيضا التعابير المتداولة. تكون سهلة الفهم جدا حتى لو لم يكملها المتكلم كلها، فنحن حالما نسمع شخصا مثلا يبدأ قوله بقول **لا حول** .....نستطيع أن نتممها بقولنا **ولا قوة إلا بالله** ونحن واثقون إلى حد كبير بأن هذا ما سيقوله المتكلم،

وقبل الخروج من نظرية الاتصال يجدر الإشارة إلى ظاهرة أخرى هامة من ظواهر الاتصال التي تنطبق على اللّغة وهي ما تسمى بالحمل الوظيفي fanctionalload ولشرح هذه الظاهرة نأخذ أمثلة من النظام الصوتي للغة الإنجليزية، فهناك عدد كبير من الكلمات الإنجليزية التي تختلف كل اثنتين منها بورود الصوت pفي إحداهما مقابل ورود الصوت b في الأخرى مثلا : pad ← Bad

pack ← Back و bitpit

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص30.

ونقول أن لهذين العنصرين حملا وظيفيا عاليا. فمثلا إذا أخذنا الصوتين ث و ذ نجد أن المقابلة بينهما محصورة في عدد قليل من الكلمات، لذلك نقول عنها أن حملها الوظيفي أقل من العنصرين السابقين إن التطبيق العملي لهذه الظاهرة يتعلق بالناحية التعليمية للغة، فكلما ارتفع الحمل الوظيفي لعنصرين من عناصر اللّغة أصبح من الضروري إتقان المقابلة والاهتمام بها، كما أن هذه الظاهرة تفيد أيضا الدراسات اللّغوية التاريخية فقد اتضح أن المقابلات ذات الحمل الوظيفي المالي تقاوم الاختفاء من اللّغة عند انحدارها من جبل إلى جبل آخر بعكس تلك المقابلات التي يكون حملها الوظيفي منخفضا. أما من جهة أخرى فاللغة وظيفة أخرى أساسية تعتبر من أهم وأخطر الوظائف في اللّغة جميعا عند الكثيرين، ويعني بها وظيفة التأثير على الآخرين أو وظيفة الإقناع persuasion، أي إقناع الآخرين بالرسالة التي تبعث بها إليهم وهي ليست وظيفة جديدة تم اكتشافها مؤخرا بل هي قديمة جدا كما أن وعي الناس لأهميتها وعنايتهن بها كان أمرين واضحين في عصور مختلفة نعرف منها بوجه خاص التاريخ الإغريقي القديم والعصور الرومانية القديمة والعهود العربية في أوجها، وعهودا أخرى ولم ينقطع هذا الاهتمام في البلدان المختلفة في العصور الحديثة. لكن ما أكسب هذه الوظيفة أهمية خاصة وخطورة هي وسائل الإعلام.

"**لقد كان الإقناع يعتمد كفن من ناحية وعلى البلاغة والفصاحة اللّغويتين من ناحية أخرى ولكنه كان أن يصبح علما الآن بع أن أصبح يعتمد على المنطق وعلم النفس من ناحية وعلم الدراسات اللغوية الحديثة من ناحية أخرى**"[1].

وربما كان من أهم العوامل التي تساعد على الحوار المقنع تحديد المعاني المستعملة تحديدا دقيق لأن لا يكون كل المتحاورين يستعملها بمعنى مختلف عن الآخر فلا ينتج عن ذلك الإقناع و الاقتناع، بل لبس وسوء تفاهم وهذه الكلمات من نوعين : نوع له معان متعددة يختلف أحدهما عن الآخر كثيرا أو قليلا ونوع آخر من الكلمات هي تلك التي تشير إلى معان مجردة كالحق والعدل والشرف والحرية

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص33.

والديمقراطية وأمثالها، وكثيرا ما استعملت هاته الكلمات ولازالت تستعمل للدلالة على أمور بعيدة كل البعد عن المفهوم الشعبي الشائع لكل منها.

تعليم اللّغات :

إن من أهم المجالات التي ظهر فيها أثر الدراسات اللّغوية هو مجال تعليم اللّغات القومية والأجنبية خاصة.

1- اللّغات القومية :

لقد انصب اهتمام اللغويون باللغة المنطوقة على اعتبار أن اللغة المكتوبة تمثل مظهرا ثانويا للغة، كما لم يركزوا على تعلم اللغات القوية باعتبار أن الطفل يكتسب اللغة بالفعل قبل التحاقه بالمدرسة ولقد أثبت اللغويون أن اللغة تتغير باستمرار و كل اللغات الواسعة الانتشار كانت مجرد لهجات انفصلت عن اللغة الأم .

وكذلك نجد لهجات محلية مميزة لمواطني القطر الواحد تميزهم عن باقي الأقطار و تميز أيضا بين الفرد المثقف و غير المثقف وكلها أشكال معترف بها و تستحق الدراسة كمظهر من مظاهر اللّغة، ولكنها لا تساعد المدارس في تعليم اللّغة للجميع بشكل موحد كما لا تساعد في الحفاظ على وحدة الأمة ولاشك أن اتخاذ اللّغة العربية كلغة للتعليم في مدارس العالم العربي من أهم العوامل التي تساعد في التقريب بين أبنائه ، إن وعي المدرس في اللّغة والمواد الأخرى لهذه الحقيقة أمر في غاية الأهمية فمن خلالها تظهر له أهمية المهمة الملقاة على عاتقه مهما كانت المواد التي يدرسها، "**وربما كان من أهم ما قدمه علم اللّغة الحديث لمدرس اللّغة القومية هو المساهمة في جعله واعيا في أمور كثيرة منها موقفه من اللهجات المختلفة**"[1]، إضافة إلى إطلاعه على دراسات المدارس اللّغوية الحديثة المختلفة ونتائجها. وعلى الرغم من تعدد تلك المدارس حاليا أصاب البعض الارتباك إلا أن ذلك له فائدة كبيرة، فقد بين هذا التعدد أنه ليس هناك منهج أو طريق واحد للبحث اللّغوي كما بينت هذه الدراسات أهمية اللّغة المنطوقة وكذلك الاختلاف بينهما وبين اللّغة المكتوبة وقد أظهرت أن بعض

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص36.

القواعد التقليدية لم تكن موجودة في اللّغات بل ربما كانت من اختراع اللّغويين القدامى في محاولة منهم لإخضاع بعض التراكيب الشاذة إلى قاعدة تنطبق على عدد كبير من الحالات الأخرى كما هو الحال في اللّغة الإنجليزية مثلا في التركيب He is older than i:

وتفضيله على الصيغة المستعملة He i solder than me بحجة أ، كلمة than حرف عطف وهي تعطف جملتين He i solder thaniamold بدلا من اعتبارها حرف جر وتحليل أو إعراب الجملة على هذا الأساس.

"**لقد أظهرت نتائج الدراسات اللّغوية الحديثة لمدرس اللّغة القومية أيضا أن القواعد التقليدية غير شاملة لجميع الجوانب في اللّغة، بل كانت معيارية هدفها منع الوقوع في الخطأ لا وصفي تصف جميع جوانب اللّغة، فنتج عن ذلك إهمال لبعض الجوانب العامة للغة**"[1]. إن إطلاع مدرس اللّغة القومية على أبحاث علم اللّغة النفسي في طريق اكتساب اللّغة عند الطفل مفيد له على اعتبار أن الطفل يتعلم اللّغة قبل ذهابه للمدرة، لكن الفائدة تظهر في تفهم المدرس لتلك الأسس التي بنى عليها اللّغويون المكلفون بتجهيز المواد المختلفة التعليمية ولاشك في أن الدراسات الحديثة تساعد مدرس اللّغة القومية في فهم أكبر لتلك اللّغة فيزداد إدراكه للهيكل العام والتفصيلي لتركيب اللّغة، فيؤثر تأثيرا مباشرا على تدريسه لأدب تلك اللّغة من نثر أو شعر أو خطابة أو قصص ..... الخ باعتبار أن اللّغة وسيلته ومادته المباشرة.

2-تعليم اللّغات الأجنبية :

أما بالنسبة لتعليم اللّغات الأجنبية فقد كان أثر الدراسات اللّغوية الحديثة فيها كبيرا للغاية، وقد شمل ذلك الأثر الطرق والمواد التعليمية والوسائل المعينة كما شمل ذلك الأثر الأسس اللّغوية والنفسية التي بنية عليها كل من تلك الطرق فحتى أوائل القرن كان الاهتمام مركزا على اللّغة المكتوبة وذلك بتأثير دراسة اللّغة اللاتينية، ولذلك فقد كانت المهارة اللّغوية التي تركز عليها المدارس عند تعليم الطلاب لغة أجنبية هي مهارة القراءة. وكانت طريقة التدريس تبعا لذلك تعتمد على تدريس قواعد اللّغة الأجنبية

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،ص39.

ثم تدريب الطلاب على قراءة النصوص بتلك اللّغة وترجمتها إلى اللّغة القومية، تسمى هذه الطريقة طريقة القواعد والترجمة وفي أوائل القرن الحالي ظهرت حركتان أولهما لم تعش طويلا وهي ما تسمى بالطريقة المباشرة والتي افترض أصحابها خطأ أن الطلاب يتعلمون اللّغة الأجنبية بنفس الطريقة التي يكتسب بها لغته القومية أي عن طريق التعرض لكمية ضخمة من الكلام المستمر دون تقييد.

أما الحركة الثانية التي ظهرت في الثلاثينيات والتي استمرت مدة طويلة وهي الحركة التي أولت عناية خاصة بالمفردات في اللّغة وتحديد أكثر الكلمات شيوعا في اللّغة الإنجليزية بالذات وأنتجت عددا من هذه التعددات للمفردات.

"**لقد بدأ الأثر الكبير لعلوم اللّغة على تعليم اللّغات الأجنبية منذ الحرب العالمية الثانية وكانت في هذه الفترة قد برزت اتجاهات معينة نجد الدراسات اللّغوية في كل من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية أهمها الاهتمام بلغة الحديث والتركيز على تراكيب اللّغة أكثر من مفرداتها**"[1]. وقد تبلورت هذه الاتجاهات بظهور المدرسة الوصفية الشكلية التي أثرت في طرق تدريس اللّغات الأجنبية بشكل كبير، وقد انطلق أصحاب هذه المدرسة من بعض الأسس النظرية وهي :

أولا :المظهر الصوتي للغة، أي الكلام المنطوق هو المظهر الأساسي والأولي.

ثانيا :أن اللّغة ليست إلا مجموعة من العادات المكتسبة مثلها مثل مظاهر السلوك الأخرى .

ثالثا : أن اللّغة هي لغة الحياة اليومية التي يستعملها الناس فعلا، لا تلك التي يوصي بها النحويون.

رابعا : اللّغات ليست واحدة، بل تختلف بعضها عن بعض كثيرا أ, قليلا وهذه الاختلافات مهمة.

خامسا :ليس هنالك لغات بدائية بل أن كل لغة من لغات الأرض مركبة وفيها من الأنظمة الداخلية ما يجعلها قادرة على تلبية حاجات الناس الذين يستعملونها.

مادامت اللّغة في الأساس هي لغة الكلام المنطوق لذلك من الضروري جدا إيلاء هذا الجانب من اللّغة عند تدريسها اهتماما كبيرا عند تدريسها لدرجة المبالغة في الاهتمام. وبما أن جميع نواحي اللّغة المنطوقة تقريبا تظهر في لغة الحديث أو الحوار، لذلك أصبح الحوار أحد المواد الأساسية في تعليم

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص41.

وتعلم اللّغات الأجنبية. إذا من الناحية الإيجابية ساعد هذا الاتجاه والتركيز على لغة الكلام بشكل خاص على زيادة الاهتمام بتلك الظواهر الصوتية التي لا يمكن التعبير عنها باللغة المكتوبة، كالنبر والتنغيم المؤثرة في معاني الكلمات كما ساعد هذا الاتجاه أيضا على الاهتمام بالتراكيب الأكثر شيوعا في اللّغة الحديثة، وإضافة إلى الاهتمام الخاص باللغة المنطوقة فإن أصحاب هذه المدرسة يؤمنون بأن السلوك اللّغوي شبيه ببقية أوجه السلوك الأخرى جعلهم يطبقون نظريته في التعليم على اكتساب اللّغة، هذا ما جعل منهجهم غير شامل لاعتمادهم على افتراضات مبنية على مبادئ في علم النفس.

الباب الثاني :الاهتمامات اللّغوية الحديثة :

1- أهمية اللّغة :

تتطور القدرة اللغوية عند الطفل ابتداء من الصراخ إلى المناغاة و الأصوات العشوائية إلى المفردات ثم تركيب جمل اقرب إلى اللغة التي يسمعها ثم يتعلم مهارتي التركيب و التعبير ثم يتدرب على الجمل الأكثر تعقيدا بعد الرابعة من عمره. ولأن الإنسان يكتسب اللغة دون جهد و عناء فقلما يلتفتون إلى أهميتها و مدى تعقيدها رغم أهميتها البالغة فنحن نستعمل اللغة المنطوقة للتعبير عن حاجاتنا و رغباتنا و أفكارنا ..كما نستعمل اللغة المكتوبة لحفظ التراث و العلوم وغيرها.. "**لكن أهمية اللّغة ظهرت بشكل واضح بعد اختراع الطباعة وفي أوروبا في القرن 15 ميلادي**[1]" ونحن اليوم نشهد ثورة علمية تقنية فوسائل الاتصال الحديثة ووسائل الاتصال الجماهيري (كالمذياع و التلفاز و السينما و الصحافة) جعلت للكلمة أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية للإنسان فما إن يحدث حدث هام حتى ينتقل إلى جميع الشعوب ،وكمثال عن ذلك ما رواه أحد الباحثين عن سبب إلغاء قنبلة هيروشيما هو سوء تفاهم لغوي فقد ذكر أن أمريكا وجهت إنذارا لليابان لوقف الحرب فأجابت اليابان بلغتها كلمة تفيد أنهم يبحثون الإنذار إلا أن المترجم نقل معنى الكلمة " هو أحد المعاني المعجمية لها " يفيد أنهم يرفضون الإنذار وذهبت مئات الألوف من البشر ضحايا لسوء الفهم هذا وبغض النظر عن مدى صحة الرواية إلا أنها ممكنة الحدوث على مستويات أقل في زمان ومكان.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص61.

2- اللّغة نظام في غاية التعقيد :

إن اللّغة التي يستخدمها الناس بيسر و دون عناء كأنها أصبحت عادة يقوم بها بشكل آلي وهذا ما نلاحظه في جميع الشعوب وعند جميع البشر على اختلاف أصنافهم، وهذا يعطي انطباعا خاطئا عن اللّغة بأنها أمر بسيط لكن ما إن يدرس عالم اللّغة أي فرع من فروعها (مما يؤيد هذا الانطباع هو امتلاك الطفل للقدرات اللّغوية في وقت قصير) يجيبه الذهول مما يجد أمامه في نظام غاية في التعقيد يتألف من أنظمة أخرى فيحتاج إلى علوم أخرى كعلوم الصوتيات ، علم النفس، علم الاجتماع، طرق الاتصال .....فمثلا علم النفس يعيد النظر في النظريات السابقة عن كيفي اكتساب الطفل للغة الأم فيدرس النفس البشرية بطريقة علمية، فمثلا فشل معظم الراشدين في إتقان لغة أجنبية كما يتقنها ابن الرابعة على الرغم من الجهد والحافز والنضوج العقلاني. إن اللّغة في مظاهرها أصوات تعبر عن معان وهذا يبدوا بديهيا لكنه يحتاج إلى دراسة وتحليل في جوهر اللّغة هي العلاقة التي تربط هذين العنصرين، فنبحث في كيفية تكوين الإنسان للرسالة ما وكيف تنتقل هذه الأصوات في الهواء حتى تصل إلى أذن السامع وكيف يحللها ويفهم معناها فإن استطعنا ذلك فقد وصلنا إلى جوهر ما يدعى بالحدث اللّغوي.

"**أولا إن المتحدث يتأثر بدفعة للكلام وإلا لزم الصمت سواء كان هذا المؤثر خارجيا أو داخليا، وتنقسم عملية الكلام إلى مراحل الأولى في تكوين رسالة إصدار أصوات . والثانية انتقال هذه الأصوات عبر الهواء إلى أذن المستمع فدماغه، أما المرحلة الأخيرة فهي إعادة تركيب الرسالة من أصوات إلى معنى فعند حدوث مؤثر تنتج لنا فكرة تحتاج لقالب لغوي للتعبير عنها وتختلف هذه القوالب**[1]" فنقول مثلا البيت يحترق ، احترق البيت، حرق البيت، في البيت حريق، هناك حريق في البيت ويجدر الإشارة أن المعاني هنا ليست متشابهة تماما ، واختلاف المعاني. إن اختيار المتكلم للوحدات بل عن الطريقة الصرفية والنحوية التي تتغير فمثلا جملة البيت يحترق يفترض

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص64-65.

على المتكلم أن يعرف كلمة البيت أو يتركها نكرة وأن يرفعها للدلالة على أنها مبتدأ وشيء يرتكز عليه الكلام.

وكذلك زمن الفعل وأن يطابق بين المبتدأ والخبر في التذكير والتأنيث والأفراد والتثنية والجمع.....إلخ

وعليه اختيار الأصوات المناسبة لبث الرسالة فهو يملك مجموعة من الوحدات المتصلة يبعضها تفرضها قواعد اللّغة ويسمي اللّغويون كلا من تلك الوحدات جميعا بالمورفيمات وعلى المتكلم اختيار أصغر الوحدات للصوت (وهي ما يسميه اللّغويون الفونيمات) ويركب منها الشكل المناسب للتعبير على المورفيمات التي أصبحت متوفرة لديه وهنا نكشف خاصية لغوية مذهلة ففي كل لغة عدد محدود جدا من الفونيمات أو الأصوات المفردة المميزة.

"**بعد أن يختار المتكلم الوحدات اللّغوية ويربطها ربطا صحيحا تفرضه قواعد اللّغة عليه أن يختار القوالب الصوتية المتعارف عليها في مجتمعه ليبث رسالة, فيقوم باختيار صوت مميز ويضمه لصوت الأم بحيث تسبق الأولى وتكون مفتوحة والثانية ساكنة وذلك للدلالة على معنى التعريف ثم يختار أصوات الباء والياء والتاء بحيث يكون الصوت الأول مفتوحا يتبعه الثاني ساكنا متبوعا بالثالث مرفوعا ثم يتابع بنفس الطريقة**"[1]، والآن تصبح الرسالة جاهزة وبقي عليه إرسالها. فيصدر الدماغ الأوامر لأجهزة النطق كي تؤدي حركات لازمة لنطق الجملة ثم تقوم أجهزة النطق بإصدار الأصوات المطلوبة وهنا ينتهي دور المتكلم في المرحلة الأولى وبعد إصدار أجهزة النطق لهذه الأصوات تحدث ذبذبات في الهواء فينتج عنها موجات صوتية تنتشر في محيط المتكلم في مسافات محددة ، وربما تنتقل هذه الموجات عبر الهاتف فتمتد إلى مسافات أبعد. ثم تدق هذه الموجات طبلة أذن السامع وتنتقل عبر الأعصاب إلى الدماغ وهذه المرحلة الثانية التي يمكن وصفها وصفا علميا دقيقا عن طريق علم الطبيعة وعلم الوظائف الأعضاء ، أما المرحلة الثالثة فيقوم فيها السامع بحل رموز تلك الريالة الصوتية والتوصل لتركيبها الصرفي النحوي ويتوصل للمعنى الذي يقصده المتكلم وتتم هذه العملية داخل الدماغ لذلك فهي صعبة التحليل والوصف.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص67.

كما أشار الدكتور "أن عملية الاستماع والفهم أصعب من عملية النطق وذلك لأسباب كثيرة بعضها يعود إلى طبيعة الصوت وكذا لمتكلم (رجل، امرأة، طفل....) وكذا طبيعة اللّغة وكذلك الحالة النفسية والانفعالية للمتكلم ومدى سكون الوسط وكذلك المسافة بين المتكلم والمستمع ومدى استعداد المتكلم لتلقي الرسالة ومدى اهتمامه بمضمونها ومدى سلامة الجهاز النطقي للمتكلم والجهاز السمعي للمستمع، "**وبالنظر إلى وظائف اللّغة فإنها تطابق شكلها الخارجي أحيانا وتختلف عنها أحيانا أخرى فمثلا المتكلم استعمل جملة خبرية البيت يحترق لكن الوظيفة الحقيقية لهذه الجملة في المقام هي الطلب وليس الإخبار إلا أن السامع فهم الوظيفة الحقيقية للجملة**"[1] .

إن المتكلم لم يجد صعوبة في بث رسالة بل استجاب بالمؤثر الطبيعي وأطلق رسالة لغوية وكذلك المستمع فلم يجد مشقة في سماع الخبر وفهمه أما نحن فقد أمضينا وقتا ليس بالقصير في تفسير هذا الحدث اللّغوي البسيط والذي استغرق ثواني محدودة.

3- اللّغة محور الدراسات الإنسانية :

لا يمكن تصور مجتمع بشري بدون اللّغة فهي محور جميع الدراسات الإنسانية وبعض الدراسات الطبيعية والتطبيقية أيضا. فدراسة اللّغة تتم من الناحية الصوتية والصرفية فهناك أجهزة نطق مسؤولة عن إصدار الأصوات، فهي موضوع دراسة عالم وظائف الأعضاء وعالم الصوتيات، "**أما الصوت بعد انطلاقه في الهواء فهو من اختصاص عالم الطبيعة والمهندس الكهربائي المختص بوسائل الاتصال والذي يعني بشكل خاص بتحويل الأمواج الصوتية إلى أمواج كهرومغاطيسية للاستفادة منها في مجالات بعيدة المدى**"[2]. أما علاقة الدماغ باللغة والنطق فيشترك فيها دراستها اللّغوي وعالم النفس والمختص بالجهاز العصبي وذلك للاستفادة منها في معالجة بعض الأمراض اللّغوية .

ومن مواضيع دراسة علم النفس كيفية اكتساب العادات اللفظية والفروق الفردية واكتساب اللّغة وسيكولوجية القراءة وعلاقة ر بالشخصية وأهم ما يشغل بالهم حاليا .

---

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص70.

[2] نفس المصدر السابق، ص74.

1-النظرية الحديثة في القدرة اللّغوية الفطرية التي أتى بها تشوميسكي ومدى صحتها وماهية تلك القدرة التي تولد مع الطفل ودور البيئة في الاكتساب.

2-العلاقة بين القدرة اللّغوية التي يتمتع بها الإنسان والاستعمال الفعلي للغة.

3-كيفية تركيب الفرد للرسالة الكلامية التي يصدرها وكيفية فكه لرموزها والبحث في هذه الأمور الثلاثة المتعلقة في كيفية اكتساب الطفل للغته الأم ومدى اختلاف تعلم الطفل أ, الراشد للغة الأجنبية.

كما اهتم علماء الرياضيات كذلك باللغة باعتبارها من أهم وسائل الاتصال فدروسها من حيث الطريقة الرياضية التي تحكم في صياغة الرسالة ثم في فك رموزها ومن حيث. الكيفية التي يمكن الاستفادة بها علميا من تخزين المعلومات إلى الحساب الآلي إلى الترجمة الآلية إلى وسائل الاتصال المتعددة. حتى ظهر فرع خاص يسمى علم اللّغة الرياضي وكذلك هناك علم اللّغة الاجتماعي الذي تتشعب موضوعاته ولكنها في خلاصتها ترتكز على علاقة اللّغة بالمجتمع حيث نتجت عنه دراسات أثرت في الاتجاهات الحديثة لعلماء اللّغة المتخصصين في قواعد اللّغة.

أما علاقة الأدب بعلم اللّغة فقد ظهر أثره. يظهر في النقد الأدبي فبدأ الأديب وعالم اللّغة يعملان معا في تحليل النماذج الأدبية المختلفة .

ومنن مجالات الجدل القديمة في اللّغة التي برزت من جديد في ضوء الأبحاث الحديثة في قواعد اللّغة وفي الدلالة وعلاقتها بالقواعد بالذات، وفي ما إذا كانت للغات أسس مشتركة أعم من القواعد الظاهرية المعروفة، وتعتبر الدراسات المتعلقة بالمعاني الملتقى الذي يجتمع فيه سائر أنواع العلماء من رياضيين وفلاسفة وأصحاب منطق وعلماء نفس وعلماء أجناس ورجال التعليم والتربية وذلك لأن للمعنى أوجها عديدة منها ما له علاقة بالمفردات اللغوية ومنها ما له علاقة بالعلل ومنها ما له علاقة بحقيقة الوجود ومنه ما له علاقة بالصواب والخطأ ومنا ما يتعلق بمقدار المعلومات التي تنقلها الرسالة اللغوية وأيضا قد يرتبط بالمقام الذي يتم فيه الحديث وعلاقة المتحدثين ببعضهم وقد كانت إحدى الطرق العملية للاستفادة من هذه الدراسات ولازالت في كتابة المعاجم اللغوية، لكن الاختلاف يكن

في كون أصحاب المعاجم ركزوا سابقا على النواحي التاريخية، وعلى الاشتقاق اللغوي وتجهيز المعاجم بلغة واحدة لكن حاليا أصبح التركيز على المعاني المتعددة للمفردات في السياقات المختلفة وامتلأت المكتبات بالمعاجم المختلفة التي تتناول لغتين أو أكثر.

ومن العلماء من اهتموا بإيجاد وسائل الاتصال غير اللّغة المنطوقة وذلك بمساعدة الصم والبكم على تعلم اللّغة و ابتكار طريقة اللمس لتعلم الكتابة والقراءة للمكفوفين وطرائق أخرى لتعلم اللّغة للمتخلفين عقليا.

وأيضا "**هناك المظهر المكتوب من اللّغة فاللغة المكتوبة هي التي تحفظ العلم و الأدب من الفناء ومع انفجار المعرفة في القرن الحالي لعب الكمبيوتر دورا مهما في حفظ المعلومات بطريقة حديثة**"[1].

4- نبذة تاريخية عن الدراسات اللّغوية القديمة :

إن معظم الموضوعات البحث اللغوي المذكورة سابقا هي موضوعات معاصرة تكاد تنحصر في النصف الثاني من القرن الحال. وهذا لا يعني أن موضوعات اللّغة لم تكن موضوع بحث سابقا خاصة بالنسبة للمجتمعات التي للغتها علاقة مباشرة بالدين كاللغة السنسكريتية في الهند واليونان واللاتينية في أوروبا والعربية عند العرب، إلا أن الفرق بين الدراسات الحديثة والقديمة يكمن في أسلوب اللّغة، ولا يوجد دليل على اهتمام القدماء باللّغة قبل ابتكار الكتابة لكن هناك بعض النقوش الهيروغليفية والسومارية والآشورية تدل على وجود المعاجم والمترجمين فقصة برج بابل في التورات تشير إلى إدراك لأهمية اللّغة في وحدة المجتمع لكن لا يوجد ناتج لغوي هام قبل القرن الرابع فقط اكتشف العلماء الأوروبيون في القرن التاسع عشر كتابا لقواعد اللّغة السنكريتية ألفه بانينيPANINI في الهند في القرن الرابع ميلادي بهدف ديني وصف فيه النظام الصوتي والنحوي وصفا دقيقا، ساعد هذا اكتشاف علاقة اللّغة السنكريتية باللغات الهندوأوروبية الأخرى وساعد الدراسات المقارنة في تقسيم اللّغات العالمية إلى اللّغات ذات الأصل الواحد.

[1] - د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص77.

على خلاف الإغريق والرومان الذين لا نجد لديهم دراسة وصفية واحدة من مستوى كتاب بانيني ويعود ذلك باهتمامهم بالفلسفة بوجه خاص. لذلك اتجهت دراساتهم نحو البحث في المسائل العامة وأثروا في بحوثهم في دراسات الرومان ثم العرب ثم الأوروبيون وقد أثار الإغريق مسالة هامة تتعلق بطبيعة اللّغة ونشأتها، قال أفلاطون أن اللّغة ظاهرة طبيعية وأن الكلمات جزء من المعنى وقد نشأ عن هذا نظريتان النظرية التوفيقية والنظرية الاصطلاحية وقد تفرع عن النظرية الأولى نظريات متعددة عن أصل اللّغة منها أن اللّغة توقيفية، نظرية المحاكاة.....

وقد تأخر الإغريق في وضع قواعد للغة اليونانية القديمة حتى القرن الثاني قبل الميلاد وتابعهم الرومان في ذلك وقد وضعوا لكل من اللّغتين قواعد تتميز بخاصيتين :

- **الخاصية الأولى** : وضع قواعد لما لمل يجب أن تكون عليه اللّغة وليس كما كانت مستعملة وهذا يسمى بالقواعد المعيارية وهي تشير إلى لغة غير مستعملة وغير موجودة.
- **الخاصية الثانية** : عدم اهتمامهم بلغات أخرى غير لغتهم فقد اعتقدوا أن تلم القواعد منطقية وهي بذلك تكون عامة وهذا ما حصل في أوروبا بالفعل فقد طبقت أوروبا هاته القواعد على اللّغات الحديثة بغض النظر عن الاختلافات الواضحة.

أما العرب فقد وجدت مخطوطات قديمة تدل على اهتمامهم باللغة العربية لغة القرآن "**فقد تأثروا بمنطق أرسطو بالمدرسة اللغوية السكندرية وشاركوا في مسألة طبيعة اللّغة ونشأتها**[1]". أما في ما يخص قواعد اللّغة فقد قدم سيبويه مرجعا للغويين من بعده في كتابه المعروف بحساب وقد انتهج المنهج الوصفي الشبيه بمنهج بانيني إلا أن لا يخلوا من تأثير أرسطو والدراسات الإغريقية وهذا واضح في طريقتي التعليل والقياس، وقد وقع في نفس أخطاء الإغريق والرومان، فقد شمل مراحل مختلفة تقدر بثلاث قرون وحاول أن يصف عدة لهجات عربية ويجد لها قواعد مشتركة واستخدمت قواعده كقواعد معيارية.

[1] - د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص80.

أما في أوروبا الوسطى فقد كانت اللّغة اللاتينية مسيطرة رغم أنها لم تكن تستعمل في حياتهم اليومية، حتى بلغوا عصر النهضة وبدؤوا الاهتمام بلغاتهم الخاصة وحتى اللهجات المتفرعة عن اللّغة اللاتينية. ووضعوا لها قواعد متشابهة لقواعد لاتينية. كما عاد الاهتمام بمسألة طبيعة اللّغة في القرن 18 عشر و وسوكونديا كوهردر، النظرية الاصطلاحية وبدأت الدراسات المقارنة التاريخية أيضا حتى القرن 19 أين تم الوصول إلى ما يسمى باللّغة الأم للغات الهند أوروبية أما القرن 20 فقد برز رائد طرق البحث الحديثة في علم اللّغة وهو فرديناند ديسويسر. وكتابه مساق في علم اللّغة الذي ارتكز عليه علماء اللّغة وركز على الدراسات الوصفية وأصوات اللّغة وقواعدها ومفرداتها في زمن معين بعيد عن الدراسات التاريخية.

5- الاتجاهات اللّغوية المعاصرة :

أ-النصف الأول من القرن 20 : تميز القرن 19 بالدراسات اللّغوية التاريخية والمقارنة وذلك لمعرفة صلات القرابة بين اللّغات خاصة الأوروبية واستنباط القواعد الصوتية والنحوية بتصور شكل اللّغة الأم التي انبثقت منها جميع اللّغات الهندوأوروبية، كما استطاع العلماء تقسيم لغات العالم إلى أسرة كبيرة مثل الأسرة السامية والأسرة الحامية و الأسرة الصينية التبتية وهذا أهم ما قدمه العلماء للبشرية في القرن 19.

"**أما القرن الحالي الذي تميز بالمنهج العلمي فقد شهد في الربع الأول دراسات متشابهة في كل من أوروبا وأمريكا ويعتبر ديسوسير رائد البحث اللّغوي الحديث فبعد وفاته نشر له كتاب مساق في علم اللّغة العام جمعت فيه محاضراته**" [1]وبعض الاتجاهات في البحث اللّغوي ولمعرفة مدى أهمية الكتاب يجب الإطلاع على كتب قواعد اللّغات الأوروبية والتي تسمى بالقواعد التقليدية وهي تعني مزيج من المبادئ والأساليب التي ظهرت بأشكال مختلفة في عصور مختلفة استعملتها مدارس متعددة. مثلا أراء تركيب الجملة ترجع لأفلاطون أرسطو في ما نظريات عن أجزاء الكلام تعود إلى رواغين.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص83.

وأفكار عن طبيعة المعنى كانت منتشرة في القرون الوسطى وفيها فرضيات عن علاقة اللّغة بالعقل وكانت شائعة بين فلاسفة القرن الرابع عشر.

و قد تميزت هذه القواعد بأمرين :

من ناحية المحتوى تميزت تلك القواعد بالصفات التالية :

-اعتمدت على اللّغات المكتوبة وخاصة لغات كبار الأدباء والقدماء منهم. ولم تهتم باللغة المنطوقة التي استخدمت عند وضع القواعد وبهذا تكون تحليل اللّغة لا يستعملها العامة ولا حتى المثقفون .

أي عدم العناية بالجوانب الصوتية التي تعتبر جزءا هاما في النظام اللغوي العام.

-ركزت على نواحي لغوية غير هامة وأهملت النواحي الهامة كالنحو ونظام المعاني.

أما من ناحية العرض فهي :

-لم تتخذ قواعد ثابتة في دراسة الجوانب اللغوية لذلك فكثير من القواعد لا يمكن الاعتماد عليها مثلا في القواعد لتقليدية وصلت إلينا تعريفات منها تعريف الاسم : هو ما دل على إنسان أو حيوان أو جماد والمعيار هنا هو علاقة اللفظ بالعالم الخارجي أي المعنى. أما في تعريف حرف الجر فهو كلمة تأتي قبل الاسم و الضمير لتحديد علاقته بالكلمات الواردة قبله وهنا استعمل معياران لغويان موقع حرف الجر في الجملة ووظيفته. وتنوع المعايير واختلافها لا يساعد على التحليل الدقيق لأي لغة.

-"اعتماد القواعد التقليدية للغات الحديثة قواعد اللّغتين اليونانية واللاتينية كنماذج لها . بالرغم من أنهما لغتان إعرابيتان عكس معظم اللغات الحديثة".[1]

وأيضا كانت تعرض اللّغة مجزأة، وكان التركيز حول القواعد التي تجنب الإنسان الخطأ وليس التي تعطي صورة متكاملة عن اللّغة .

كما أنهم استخدموا المعنى كمعيار لكن بطريقة غير مجدية وغير منظمة أو ثابتة. خلاصة القول أن هذه القواعد وضعت للغات لم تكن مستعملة عند وضعها، وكانت معيارية لا وصفية وكان مقياس الصواب والخطأ عندها هي اللّغة المكتوبة في الكتب الأدبية والدينية وأهملت الجانب الصوتي ولم تقد

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص85.

نظرية متكاملة للغة.وقد كان العلماء الذين رفضوا هذه القواعد التي استمرت قرون سوسير الذي اتبع المنهج الوصفي في الدراسة اللّغوية أي وصفها كما هي في فترة زمنية محددة للوصول لقوانين عامة وعلى الأقل معرفة البنية التركيبية لها .في أمريكا أيضا كان هناك علماء قد انتهجوا المنهج الوصفي في دراسة لغات الهنود الحمر غير المكتوبة منها بوس سافير و بلومفيد قاما بتطبيق ذات المنهج على اللّغة الإنجليزية واللغات الأوروبية الحديثة أيضا.كما اهتم سوسير بالتركيب الصرفي والنحوي للغة أيضا وأكد على أهمية اللّغة المنطوقة على اعتبار أنها مظهر أول وأساسي للغة واللّغة المكتوبة مظهر ثانوي وهذا مظهر من مظاهر ثورية نظريات سوير القواعد التقليدية.

"كما أكد سوسير وسابير في أمريكا أن اللّغة ظاهرة اجتماعية أن الرموز الصوتية أو الكتابية لا معنى لها بحد ذاتها بل العلاقة بين الرموز فهي اصطلاحية و اتفاقية ثابتة بالنسبة للغة الواحدة والمجتمع الواحد أما اللّغة فهي ظاهرة اجتماعية موحدة لمجتمع معين ويمكن الوصل لقواعدها المشتركة عن طريق دراسة نماذج كلامية صادرة عن أفراد ذلك المجتمع، وبهذا نكون النموذج المثالي الذي يوجه كلام الأفراد الذين يقيدون بضوابطه اللغوية والسلوكية" [1].

شهد النصف الأول من العصر القرن الحالي ما يسمى بالمنهج اللّغوي الوصفي التشكيلي descriptive structural aproch الذي روج له كتاب بلومفيد اللّغة في أمريكا خاصة بتأثير الحرب العالمية الثانية لذا تميزت الدراسات اللّغوية بعدة خصائص .

-كان التركيز على البنية الظاهرية للغة وتم وصف النظام الصوتي لعدد من اللّغات الحديثة الصرفي والنحوي وصفا دقيقا جديته أدت إلى اختفاء التقسيمات القديمة لأجزاء الكلام وبعض المفاهيم اللّغوية الأخرى استبدلت بمفاهيم نابعة عن علاقة المفردات ببعضها داخل الجمل بغض النظر عن العالم الخارجي. و قد كانت هذه القواعد وصفية لا معيارية أي انه لا يوجد معيار للصواب والخطأ وكل ما يقوله مجتمع فهو صحيح بغض النظر عن اللّغة المكتوبة وقد إستبعدوا كلام السوقة والمتكلمين لهجات محلية خاصة.

[1] - د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص87.

-التأثر بالمذهب السلوكي الذي يهتم بدراسة السلوك الذي يتكون عن طريق المؤثر والإستجابة والثواب والتكرار وقد نظر علماء اللّغة نفس النظرة إلىاللّغة بأنها عادة سلوكية ومن المكن دراستها وتعليمها على هذا الأساس وكان لهذا التأثير نتيجتان :

-دراسة ظاهرة اللّغة مثل أي عادة سلوكية أخرى إهمال دراسة المعنى الذي لا يمكن دراسته عن طريق المنهج العلمي الموضوعي المستخدم في العلوم الطبيعية.

-التركيز على اللّغة المنطوقة على اعتبارها مظهر أول وأساسي للغة .

-التركيز على ظاهرة اللغات وظهور دراساتها مقارنة تكشف أوجه الشبه والاختلاف بين ظاهر لغتين معينتين من النواحي الصرفية والصوتية والنحوية والتي تهدف إلى الوصول إلى أفضل طرق تعليم اللّغات الأجنبية على اعتبار أن نطاق الاختلاف بين لغتين هي التي تكل عائق أمام المتعلمين.

-استخدام المنهج التجريبي الذي كان سائدا في الدراسات اللّغوية، فلم تتقدم نظرية ما إلا وخضعت للدراسة العلمي المنظمة .

-لأول مرة في تاريخ الدراسات اللغوية لم يكن علماء اللّغة مجرد واصفين ودارسين لها بل مؤثرين في تجهيز المواد التعليمية وتأليف الكتب الدراسية وفرض طريقة التدريس والوسائل المناسبة لها .

هذه هي الاتجاهات التي ظلت سائدة خلال النصف الأول من القرن الحالي .

ب-النصف الثاني من القرن الحالي :

بدأ النصف الثاني من القرن الحالي بكتابة التراكيب النحوية تشوميسكي الذي ثار على المفاهيم السائدة في النصف الأول وقد تأثر تشوميسكي بمدرسة الفلسفة العقلانية فقد كانت آرائه حول طبعة اللّغة عميقة ومناقضة لسطحية علماء النصف الأول.

"بينما أكد تشومسكي أن سكينر لا يستطيع التحدث عن مسببات السلوك اللغوي مادام لا يعرف طبيعة ذلك السلوك"[1].

وقد أخذ تشومسكي سوسير للغة إلى لغة وكلام وأطلق على الظاهرة الأولى تعبير compétence

[1] - د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص92.

وعلى الثانية تعبير performance الذين نستعمل لهما نفس المرادفين العربيين والفرق بينهما هو أن الكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط..... فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب و اللّغة هي الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللّغة والمعاجم ونحوها و الكلام قد يحدث أن يكون عملا فرديا ولكن اللّغة لا تكون إلا اجتماعية .

وقدر رأى تشوميسكي أن مهمة عالم اللّغة استنباط قواعد اللّغة دون أن يتقيد بها الفرد دائما. ويجب أن تولد هذه القواعد جملا صحيحة وتمنع تكوين الجمل الغير صحيحة . وبهذا أعارض اقتصار على دراسة ظاهرة اللّغة الذي قد يكون خادعا إذا نظرنا إلى المعنى. فقد يتشابه التركيب الخارجي لجملتين بينما تختلفان جذريا في المعاني :

-صراخ المجرم لم يؤثر في الناس.

-عقاب المجرم لم يؤثر في الناس.

-فالشكل الخارجي متطابق (مبتدأ+ مضاف إليه+ الخبر جملة فعلية) ومع ذلك فالمعنى يختلف ففي الجملة الأول المجرم هو الفاعل الحقيقي لفعل الصراخ بينما في الثانية فهو المفعول به لأن فعل العقاب نزل به.

وهناك جمل تحتمل معنيين مثل : كان عقاب علي صارما، لا تستطيع التوصل للمعنى الحقيقي خارج السياق ، وهذا ما عنى تشوميسكي لقول أن لكل معنى ظاهري suface structure

مبنى عميق deep structure هناك قواعد تنظم العلاقات بينهما تسمى القواعد التحويلية transformationnelle grammaire أما من نظرية الخلق فقد قال تشوميسكي أن الطفل يكتسب اللّغة عن وعي وإدراك وأنه يستوعب قواعد اللّغة ثم تتكون عنده القدرة على لخلق أي تركيب الجمل التي ليس بالضروري أن يكون قد ..... وعارض فكرة أ، الطفل يولد صفحة بيضاء بل له قدرة فطرية تتألف من معرفة مسبقة لقواعد العامة التي تقوم على أساسها جميع لغات العالم والطفل لا يكسب اللّغة عن طريق السماع والحفظ بل يحاول أن يضع ما يسمعه من كلام اللّغة التي

يعيش بين أهلها في القوالب العامة في جميع اللّغات وبهذا يحيي نظرية الإغريق القدامى وكذا سوسير وهي نظرية القواعد العامة المشتركة لجميع اللّغات.

ج– الدراسات اللّغوية الاجتماعية :

لقد اعتبرت المدرسة الوصفية التشكيلية الوحدة الصوتية اصغر وحدة لغوية وهي تألف الكلمات والتي بدورها تشكل الجملة التي تتوقف عندها في البحث **"أما تشوميسكي فقد بدأ بالجملة باعتبارها وحدة لغوية ثم درس من المعاني والأصوات التي اعتبرها آخر مظهر للغة لأنها الشكل الخارجي المستعمل في عملية الكلام والناتج لعمليات كثيرة**[1]"،وقد ظهرت مدرسة أطلق عليها اسم المدرسة اللّغوية الاجتماعية وقد اهتمت هذه المدرسة بالجانب الاجتماعي من اللّغة والذي أهمله السابقون لها على اعتبار أنه يتعلق بالكلام الفعلي لا باللغة التي كانوا يعملون على استنباط قواعدها.

وقد اعتقدوا أن أصحاب المدرستين السابقتين اهتموا بالتركيب الداخلي للغة أكثر مما ينبغي وأهملوا ما يمكن أ، يفرضه ذلك المجتمع من الضوابط والقيود على مستعملي تلك اللّغة.

كما درسوا المعنى كونه هو هدف المتكل هو إيصال هذا المعنى وحللوا أيضا المفاهيم التي يرغب كل إنسان في التعبير عنها عن طريق اللّغة، ودرسوا وظائف كل تركيب لغوي وبحثوا عن التراكيب اللّغوية التي يمكن أ، تعبر عن تلك الوظائف، فقد حاولوا الوصول إلى القواعد التي تحكم الاستعمال الفعلي للغة في المجتمع وتقسيمها إلى قواعد عامة وخاصة بكل مجتمع.

وهناك أمران يحكمان الاستعمال اللّغوي أولهما السياق اللغوي فإذا بدأت جملة بقولك : أكل علي ...إلخ فإن السامع يتوقع أن تتمم جملتك باسم طعام ما، والمعني الحقيقي لما تم النطق به لا يتضح إلا بإتمام الجملة فلو أتممت الجملة قائما :

-أكل علي طعامه.

- أكل مال اليتيم.

- أكل علي ضربة على رأسه.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص97.

فإن المعني يختلف تماما باختلاف السياق اللغوي.

وهناك أيضا المناسبة التي يقال فيها الكلام وله عناصر عديدة منها : جنس المتكلم وسنه، دينه، شكله الخارجي، مكانه الاجتماعي، نبرة صوته ..... إلخ

وهذا ينطبق على المستمع أيضا وأيضا علاقة المتكلم بالمستمع وموضع الكلام والأسباب والمكان والوقت.

6- المنهج العلمي ومدى انطباقه على الدراسات اللّغوية الحديثة :

"**لقد نجحت المدرسة الوصفية التشكيلية في استخدام المنهج العلمي في دراسة ظاهرة اللّغة وذلك أدى للاستغناء عن المعنى ثم أدخلت المدرسة القواعد التحويلية المعنى في نطاق الدراسة اللغوية اعتمدت على قدرة أصحاب اللّغة الأصليين على تمييز الخطأ من الصواب عن طريق حسم الداخلي الذي يسمى intintion**"[1]،والذي لا يمكن الاعتماد عليه في البحث العلمي، فما هي مقومات المنهاج العلمي؟ يلخص دفيد كرستال وهو أستاذ علم اللّغة في جامعة ريدينج بإنجلترا مقومات المنهج العلمي بثلاث هي : الوضع التام explicitneseوالانتظام مع الثبات systimaticnese و الموضوعية objectivite .

الباب الثالث:

يدرج الفصل الثالث تحت عنوان طبيعة اللغة فيركز على:

01-النظريات الحديثة في طبيعة اللغة البشرية:

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص100.

فيبدأ فصله ببعض التساؤلات عن طبيعة هاته الكلمة التي أصبحت تستخدم بكثرة فيقال: لغة الجسد، لغة الحيوان، ولغة الإشارة... فما مدى اختلاف وسائل الاتصال هذه عن لغة الإنسان؟ وهل هذه الأخيرة ناتجة عن الفطرة أم عن الاكتساب، وهل يمكن أن تتعلمها بعض الكائنات الأخرى؟ وقد كانت هذه التساؤلات موضوع دراسة عدة باحثين ومفكرين.

وقد أشار إلى "**أثر المدرسة السلوكية على يد سكينر في أمريكا وبافلوف في الاتحاد السوفياتي التي نظرت إلى اللغة كونها عادة سلوكية وأن ذهن الإنسان يولد صفحة بيضاء خالية من المعارف اللغوية ونجاح الطفل في اكتساب المعارف عائد إلى التدريب**"[1] وقد أثر هذا على علماء النفس المتأخرين أمثال فيجوتسكي ولوريا... اللذين كانوا يتفقون مع هذا الرأي في أن اللغة هي رد فعل لمؤثرات خارجية تدعم بالتعزيز ويؤدي إلى حفظ وتخزين عدد محدود من نماذج الجمل التي يتم توسيعها بطرق مختلفة، وعندما يتأثر الفرد بمؤثر خارجي يستجيب له بأحد النماذج المخزنة.

لكن أصحاب هذه المدرسة كانت لهم نظرةً سطحية فقد اقتصروا في بحثهم على ظاهرة اللغة لا طبيعتها، فقد حصروها في التراكيب الصرفية والنحوية فقط على غرار المعنى، فقد قسموا الجملة شكليا إلى نماذج من حيث الترتيب الأفقي التتابعي للمفردات بغض النظر عن معنى الجملة وأعطى مثالا كالتالي:

النموذج: الفعل المتعدي + الفاعل + المفعول به.

فتح الرجل الباب ⟵ الفعل الحقيقي

فتح الريح الباب ⟵ السبب

فتح المفتاح الباب ⟵ الوسيلة

إلى أن جاءت نظرية ناقضت النظرية السابقة وهي مدرسة تشومسكي الذي أكد أن الإنسان يولد بقدرة لغوية تساعد تساعده عل اكتساب أي لغة يعيش وسط مجتمعها كما أضاف نقطة مهمة وهي عمارة الإبداع والتأليف وابتكار جديدة لم يسمعها من قبل.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص113.

02- لغة الحيوان:

كانت هناك محاولات عديدة للوصول لتعريف بهدف الوصول إلى جوهرها إلا أن كل التعريفات كانت قاصرة لأنها كانت تركز على مظهر معين من مظاهر اللغة إما الجانب التواصلي أو التبليغي أو الاجتماعي.

"**ولعل أفضل المحاولات في حصر مميزات اللغة الإنسانية كانت لـ تشارلز هوكت Charles « hocket « الذي توصل لحصر 16 صفة مميزة، وأضاف عليها العلماء**[1]"... لكننا سنقتصر على أهم تلك الصفات أولها أن الإنسان العادي يستخدم الجهاز الصوتي للحديث باللغة والجهاز السمعي للاستماع لها، لكنه يستطيع التعبير بطرق أخرى أكثرها وضوحا في الاشارات Gesters التي تموضع نظام خاص لها يعوض تعويضا كاملا عن النظام اللغوي الصوتي.

ومن ناحية أخرى فإن الكثير من الحيوانات تستخدم الجهازين الصوتي والسمعي إضافة إلى الحواس، ومن الضروري التمييز بين استعمالين مختلفين للتصويت كوسيلة لغوية، هناك صوت يطلقه الإنسان كرد فعل مباشر لمؤشر ما مثلا: "آه" والتي تدل دلالة مباشرة عن الألم وتتشابه إلى حد كبير في المجتمعات اللغوية المختلفة، أما حين تتلفظ كلمة "ألم" فهي لا تدل مباشرة على ما تشعر به بل هي رمز صوتي اصطلح عليه المجتمع العربي للدلالة على هذا النوع من الشعور، والرموز التي تدل على هذا النوع من الشعور في اللغات الأخرى مختلفة تماما من الناحية الصوتية كما أنه في اللغة العربية نفسها مرادفات كثيرة لا تتفق مع الكلمة من ناحية الصوت فأين يمكن تصنيف أصوات الحيوانات؟ هل هي ضمن الإشارات البسيطة المباشرة أم الرمز الصوتي المركب؟

كان بعض العلماء يعتقدون أن أصوات الحيوانات من النوع البسيط المباشر إلى أن ظهرت دراسات حديثة وجدت أن بعض اللغات الحيوان تتألف من أصوات مفردة يزيد عدد بعضها عن تلك التي تستعملها بعض المجتمعات البشرية، مثلا: في لغة سكان جزر هاواي أكثر من 13 صوت مفرد أما لغة الطيور المختلفة هناك ما بين 12 و 25 صوت والأمر المهم هو أنّ أصوات الحيوان تدل غالبا

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص117.

على دلالات مباشرة تتعلق معظمها بالمشاعر وقد تبين أن عدد من الحيوانات قادر على تركيب جمل من هذه الأصوات المفردة أو من وسائل اتصال أخرى غير صوتية فالقرد مثلا يعبر عن التهديد بصوت مقرون بحركات جسمانية كهز الرأس ورفع الحاجبين وفتح الفم دون إظهار الأسنان، لذا يمكن القول أن التصويت واستعمال الحواس ليس خاصية إنسانية بل تشاركه فيها مخلوقات أخرى.

أما الصفة الثانية فهي اصطلاحية أو التواضعية "**التي يعتقد أنها خاصة بلغة البشر أي عدم وجود علاقة مباشرة بين اللفظ ومعناه مثلا كلمة رجل والمخلوق الذي تدل عليه الكلمة، والكلمات الأخرى التي تدل على نفس المخلوق في اللغات الأخرى تختلف بعضها عن بعض، وهذا يحدث في الأغلبية من مفردات أي لغة من لغات الأرض**"[1].

أما في لغة الحيوان فعموما توجد علاقة توجد علاقة وثيقة بين الصوت أو الإشارة والرسالة التي يريد بثها إلا أن هذا الأمر لا يشمل جميع الحيوانات فبعض الطيور حين تشعر بتهديد يبدأ بنزع الأعشاب وكأنه يبني عشا على الرغم من أن هذه الحركة لا تدل على الاستعداد للقتال لكن الغريم عادة ما يفهم الرسالة وينسحب.

أما الصفة الثالثة فهي أن مفردات اللغة البشرية قد تعبر عن الأشياء المحسوسة والمجردة كما يمكن أن يضم الاسم عدة أشياء متشابهة الجوهر مثل كلمة صندوق فهي تشمل الورقي، الحديدي، الخشبي، والمكعب، المخروطي، ومن الصعب إثبات أو نفي هذه الخاصية عند الحيوانات. أما الصفة الرابعة فهي توارث المجتمعات البشرية للغة وحاجة الطفل لمجتمع ليكتسب اللغة. أما بالنسبة للحيوانات فقد أجريت دراسات أكدت أن بعض الحيوانات لغتها موروثة كليا بينما بعضها الآخر جزء منه موروث والآخر مكتسب بينما النوع الثالث لغته كلها مكتسبة.

أما الصفة الخامسة فهي الازدواجية أي لا معنى للأصوات المفردة بحد ذاتها يتولد معناها بل حين تركب مع بعضها. وهذه أيضا ليست خاصة بلغة الإنسان بل موجودة في لغة الطيور.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص120.

وفيما يخص الصفة السادسة وهي الأهم أن باستطاعة لغة البشر التعبير عن أشياء وأحداث بعيدة عن المتكلم زمانا ومكانا، كالماضي والمستقبل مثلا وهذا ما نجده في لغة النحل عندما تجد نحلة مكان الرحيق فتعود إلى رفيقاتها وتقوم برقصات تختلف حسب بعد واتجاه المصدر، لذا فهذه الصفة ليست خاصة بلغة البشر فقط.

"**وآخر صفة ذكرها تشومسكي هي خاصية الخلق والإبداع أي قدرة تركيب آلاف الكلمات من أصوات مفردة وأن يكون من هذه المفردات عدد لا يحصى من التراكيب والجمل وفق قواعد صوتية**"[1]، صرفية، نحوية، ومعنوية، وقد أجريت تجارب على الدلفين بشكل خاص لمعرفة مدى توافر هذه الصفة

في لغة الحيوان وقد تم التوصل لمجموعة تراكيب محددة وتحديد معانيها، لكن لم يتم إثبات إذا ما كان لهذه الحيوانات القدرة على تكوين تراكيب أخرى لظروف تختلف عن تلك التي تتحرك تلك المخلوقات في إطارها. وقد أجرى العالم **فون فريش** تجربة صغيرة على مجموعة من النحل توصل من خلالها إلى أنه لا يمكن اعتبار لغة النحل قادرة على تكوين تراكيب جديدة غير معروفة سابقا مثل لغة الإنسان.

ومما سبق نصل إلى أنه لا توجد أي لغة تتوفر فيها جميع المواصفات التي تتوفر في لغة الإنسان ولا توجد بها أي مقومات تساعدها على خلق التراكيب التي تتطلبها المواقف الجديدة، فاللغة الحقيقية هي ظاهرة خاصة بالإنسان وامتلاكه لقواعد اللغة يمكنه من تكوين عدد لا يحصى من التراكيب.

3. هل اللغة طبع أم تطبع؟

"**مع أن هذا التساؤل قديم إلا أنه لم يطرح بشكل علمي تجريبي إلا في النصف الثاني من القرن الحالي، والواضح أن اللغة ليست غريزة تتطور بمعزل عن المجتمع كالمشي والتبول...** "[2]فقد أثبتت

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص123.

[2] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص126.

تجارب لعدد من الحالات أن الفرد الذي يعيش منذ ولادته بمعزل عن المجتمع يبقى بدون لغة ويكتسب لغة الحيوانات التي يعيش بينها، وأكدت أيضا أن الفرد يبطؤ في تعلم لغة ما كلما زاد في العمر. ولا يمكنه تعلم أي بعد سن قدرها العلماء ما بين الثانية عشر والرابعة عشر، ولا يمكن القول أنّ الطفل يولد مزودا بلغة معينة فلو عاش الطفل العربي مثلا في مجتمع فرنسي منذ ولادته سيتقن تلك اللغة بنفس السرعة التي كان يمكن أن يتقن بها لغته العربية لو عاش في مجتمع عربي.

ولم يكتف العلماء المعاصرون بفكرة الاستعداد الفطري بل أن لديه قدرات لغوية بعضها عصبي وبعضها بيولوجي وبعضها الآخر عقلي، وقد ألغى هؤلاء العلماء فكرتين هامتين:

- إن هناك علاقة وثيقة بين مستوى الذكاء واكتساب الطفل للغة.
- أن هناك فائدة كبيرة من تدريب المجتمع للطفل فيساعد في سرعة ونوعية اكتساب اللغة، كما أضافوا أن الطفل عنصر متفاعل مع اللغة فهو يكتسبها بوعي كامل.

"**وخلاصة القول أن اللغة هي حصيلة الطبع والتطبع معا**"[1]، ونبدأ بنظرية تشومسكي الذي أتى بفكرة البنية الداخلية لكل تركيب التي لابد أن تتوافر في ذهن المتكلم قبل أن تتحول إلى رموز صوتية (بنية خارجية)، وتتكون هذه البنية من وحدات المعنى والفرد يجب أن يستخدم قواعد تسمى بالقواعد التحويلية لتحويل تلك البنية الداخلية إلى بنية خارجية، كما أضاف فرضية هامة لا تزال موضع الدراسة وهي أن البنيات الداخلية متشابهة في جميع لغات العالم، ويمكن تلخيص نظرية تشومسكي فيما يلي:

أولا: لابد للطفل استخلاص القواعد المعقدة التي تحكم تلك اللغة ويجعل منها نماذج واضحة مضمونة ويجب أن تكون لديه معرفة فطرية بتلك العموميات اللغوية التي تحكم أنظمة اللغات جميعا.

ثانيا: هذه العموميات اللغوية تتألف من نوعين: النوع الأول قال به العلماء قبل تشومسكي وهو

[1] نفس المصدر السابق ، ص 129.

يشمل المحتوى اللغوي الذي تتألف منه جميع اللغات مثل مجموعة الأصوات اللغوية وأجزاء الكلام الرئيسية كالاسم والفعل والصفات أما النوع الثاني فهو يشمل العلاقة الصرفية والنحوية وهي الأهم بالنسبة لتشومسكي.

ثالثا: (وهذا خاص بتشومسكي) أن الطفل الوليد يعلم بشكل آلي أن في كل لغة بنيتين احداها داخلية وأخرى خارجية ويعرف القواعد التي تحول الأولى إلى الثانية.

"وهذه المعرفة تساعد الطفل على تكوين فرضيات مبنية على ما يسمعه من كلام تكون ساذجة ثم يعدّلها الطفل حتى يتوصل إلى قواعد صحيحة تحكم نظام اللغة وهذا الأمر فتح مجالا واسعا للدراسة والبحث والجدل"[1].

وقد مضت السنوات الخمس عشر الأخيرة في محاولة دراسة اللغة الطفل خاصة في الفترة التي ينطق فيها بكلمات مفردة فقط والتي اعتبرها العلماء تعبيرا عن تراكيب نحوية وجملا كاملة ولكنهم وجدوا صعوبة في تحديد تلك الجمل، ولكن البحث كان أكبر جدوى في فترة ما بعد الكلمات المفردة أي فترة الجمل المؤلفة من كلمتين أو أطول من ذلك وذلك من أجل معرفة هل لهذه الجمل قواعد خاصة أم أنها مجرد محاكاة غير كاملة للغة البالغين، وأدق الدراسات كانت لـ "لوي بلوم" التي توصلت إلى أن هذه الجمل مبنية على قواعد وعلاقات معينة كعلاقة الفاعل والمفعول به فالطفل يعرف أن اللغة تحكمها قواعد معينة فهو يعبر عن العلاقات اللغوية بشكل ثابت بينما تدل الأخطاء اتي يرتكبها على الفرضيات التي يكونها ويعدلها كما يتمتع الأطفال بخاصية الخلق فهم يستعملون تراكيب لم يسمعوها من قبل.

وقد دللت التجارب أيضا أن الطفل يولد ولديه فكرة عن طبيعة اللغة وعندما يبدأ بالكلام يبدو له أنه يعرف مسبقا أن اللغة تحكمها قواعد وأنها مركبة بطريقة هرمية فالجمل تستطيع أن تمتد إلى ما لا نهاية، وقد أجريت دراسات على أطفال في جامعة هارفرد أثبتت أن للطفل قدرة على صياغة الجمل التي يقول تشومسكي أنها تحتاج إلى قواعد تحويلية معقدة وذلك بسرعة وسهولة، كما تبين أن الطفل

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص130.

أثناء اكتسابه للغة لا يفكر بالبنية الداخلية للجملة بل يبحث عن نظام البنيات الخارجية، وقد استخدم العلماء طرقا أخرى للتوصل لنتائج أفضل.

أولها: دراسة مراحل تكوين الجملة عند الطفل ومحاولة اكتشاف الخطة التي يتبعها الطفل في ذلك.

ثانيتها: دراسة نوعية الأخطاء التي يرتكبها الطفل أثناء تطور مقدرته اللغوية.

أما الثالثة فهي تحليل لغة الأطفال الذين يتعلمون لغتين في ذات الوقت، وقد تبين أن هذه الطريقة أفضل.

ورغم استمرار الدراسات إلا أن "**الباحثين استبدلوا نظرية تشومسكي بفرضيته تقول أن الطفل يولد مزودا بعقل نشيط ذو تركيب معقد جداً يستخلص بواسطته قواعد اللغة المعقدة من الأصوات التي يسمعها في سنواته الأولى**"[1]، والكل مجمع على أن الطفل لا يولد صفحة بيضاء كما أنه لا يكتسب اللغة عن طريق الاستماع والمحاكاة فقط.

4. الدليل البيولوجي على المقدرة الفطرية:

إن نتائج الدراسات التي قالت أن اللغة هي قدرة فطرية بشرية حفزت علماء البيولوجيا والتشريح والأطباء على البحث أكثر لإثبات هذا القول ومن أشهرهم "لنبرغ" من جامعة هارفرد الذي يقول أن الأسباب التي دفعته لتوقع بعض الصفات البيولوجية في جسم الإنسان لها علاقة مباشرة باللغة هي:

1- وجود علاقات بين اللغة والنواحي الفيزيولوجية والوظيفية لجسم الإنسان منها العلاقة بين اللغة والجهازين السمعي والنطقي، وببين الدماغ ومراكز التنسيق بين الحركات العضلية الخاصة بجسم الإنسان وخاصية السيطرة على التنفس ليتمكن الإنسان من مواصلة الكلام لفترة طويلة.

2- الجدول الزمني للتطور اللغوي: فالسلوك اللغوي يبدأ بالنطق ويتطور وفق جدول زمني دقيق حسب كل أطفال العالم مهما اختلفت لغاتهم، فالطفل يكتسب أولا الأسس التي

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص135.

تمكنه من تركيب الأصوات لتنتج كلمات، وهذا الجدول ثابت حتى لو تغير التطور الجسماني الشامل للطفل.

3- صعوبة كبت اللغة أو وقف تطورها: إن قدرة الطفل في اكتساب اللغة قوية جدا لا توقفها أي صعوبات فمثلا الأطفال المكفوفون يكتسبون اللغة كالأطفال الأسوياء ما عدا بعض الألفاظ التي لا يستطيعون التعرف عليها إلا عن طريق اللمس.

4- اللغة البشرية لا يمكن تعليمها لغير البشر: لقد دلت جميع التجارب بأنه لا توجد لغة تضاهي لغة الإنسان في تنظيمها وتعقيدها وقدرتها عل الابتكار ولا يمكن لأي جنس تعلمها.

5- الأسس العامة لجميع اللغات: لقد تبين أن هناك أسس صوتية نحوية ودلالية مشتركة بين جميع اللغات في العالم وأن أي طفل أو إنسان عامة يمكنه تعلم أي لغة في العالم وهذا يدل على اشتراك جميع البشر في المهارات الأساسية اللازمة لاكتساب اللغات المختلفة على الرغم من الاختلافات الفيزيولوجية بينهم.

وكانت هذه من الأسباب التي حفزت على البحث في الصفات البيولوجية المميزة للإنسان، وقد تبين "**أن نظرية النشوء والارتقاء لدارون لا تتعارض مع وجود صفات خاصة لأنواع معينة من المخلوقات إلا أن العلماء لم يتوصلوا في ظل هذه النظرية إلى أقرب نسب للغة البشرية وقد اتضح أن لغة القرود هي أقرب الحيوانات للإنسان بيولوجيا**"[1] أما لغتها فتختلف اختلافا جذريا عن لغة الإنسان.

"**ولو نظرنا للغة من الناحية الوراثية، فالعيوب اللغوية الوراثية قلما تؤثر على مستوى الذكاء ولا تزال الدراسات جارية لمعرفة ما إذا كان أساس القدرة اللغوية له علاقة بالوراثة**"[2]، إلا أنه من الواضح أن الاستعداد لاكتساب اللغة بقي ثابتا عند الإنسان على الرغم من التغييرات التي تطرأ على

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص137.

[2] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص138.

الجينات، وكل ما تم التوصل إليه هو إعادة النظر في أمور كانت شبه مؤكدة منها علاقة اللغة بالذكاء التي كان يعتقد أن قدرة الإنسان على اكتسابها مرتبط بمستوى ذكاءه وهذا أمر نفته الدراسات الحديثة فاللغة تبدأ عند الطفل الصحيح والمتأخر عقليا بنفس الطريقة فيما عدا صعوبة النطق وبعض الأخطاء النحوية.

ثم إن نظرة سريعة تشير إلى وجود شبه كبير بين دماغ الإنسان ودماغ الشمبانزي الجزء العلوي للدماغ هو يساعد على تنظيم اللغة والمنطقة اليسرى تحديدا.

ورغم عدم وجود أدلة إلا أن هناك صفة بيولوجية عصبية تميز الإنسان عن الحيوان وتخلق عنده الاستعداد لاكتساب اللغة وتتكون عند الطفل من سن الثانية إلا الرابعة عشر.

فإذا أصيبت المنطقة اليسرى عند الطفل بين هذين العمرين فإن القدرة الكلامية تنتقل إلى منطقة أخرى أما إذا حدث ذلك بعد سن الرابعة عشر فقد تتعطل هذه القدرة كليا أو جزئيا حسب شدة الإصابة.

ومن خلال بعض الدراسات الحديثة تم التوصل إلى ما يلي:

أولا: تم اكتشاف منطقة بروكاBroca's Area للغة ومنطقة فرنيكهWernicke's Area لهما علاقة بالتخطيط للكلام وفهمه.

ثانيا: تم تحديد منطقة تمتد لمنتصف المخ تسيطر على جميع الحركات الجسمية الإرادية منها النطق الفعلي للكلام.

ثالثا: هناك مساحات أكبر في مخ الإنسان مخصصة للسيطرة على حركة اليدين والفم من مخ الحيوان.

رابعا: لا يزال البحث جاريا حول تحديد تخصصات المخ وعلاقتها بمظاهر اللغة وهناك مظاهر تدل أن اللغة الإنسانية بيولوجيا وسنبحث هذا في موضوعين:

الأول: مقارنة جهاز البشري والحيواني.

الثاني: مقارنة تطور القدرة اللغوية الإنسانية بمظاهر السلوك الأخرى التي لها أساس بيولوجي.

إن جهاز النطق عند الإنسان يساعده على استخدام اللغة في شكلها المنطوق فالرئتين عند الإنسان والحيوان متشابهتان إلا أن التنفس عند الإنسان مكيف تكييفا يناسب عملية التكلم أما حنجرة الإنسان فتركيبها أبسط من حنجرة القرود مثلا وهذا ليساعد على مرور الهواء دون عوائق، كما أن هناك اختلافات بين فم الإنسان وأفواه الحيوانات فأسنانه متقاربة وتشكل حاجزا كاملا كما أنها ليست مائلة ويمكن انطباق الفكان انطباقا كاملا وهذا ليس ضروريا لعملية الأكل لكنه ضروري لنطق بعض الأصوات.

وصفات جهاز النطق عند الإنسان مواتية لنطق الأصوات المختلفة كما وجدنا أن تطور اللغة شبيه جدا بأنماط سلوكية أخرى محكومة بيولوجية والتي من أهم صفاتها: حتمية ظهورها في الفرد التابع لإحدى الفصائل الحيوانية، هذه الصفة متوفرة في اللغة كذلك، وأيضا فالسلوك المحكوم بيولوجيا يظهر قبل أن تدعو الحاجة إليه، وكذلك بالنسبة للغة فالطفل يبدأ باستعمالها قبل حاجته لها كوسيلة اتصال. "**وكذلك هذا النمط من السلوك لا يأتي بقرار واع وهذا ما ينطبق على اللغة كذلك فلا دخل للإرادة الطفل في ظهور اللغة عنده، كما يمكن أن يمرّ السّلوك المحكوم بيولوجيا بفترة حرجة في اكتسابه**"[1].

ثم إن الإنسان لا يستطيع اكتساب أية لغة بعد سن الرابعة عشر ودلّ على هذا ثلاثة مصادر.

أولها: الأطفال الذين يعيشون في عزلة عن المجتمع إذا تم اكتشافهم قبل سن الرابعة عشر فبإمكانهم تعلمها وإن كان تعلمهم بشكل بطيء.

ثانيها: دراسة تطور اللغة عند المتأخرين عقليا الذين يكتسبون اللغة بشكل أبطأ ليصل إلى درجة كبيرة في سن البلوغ.

ثالثها: مقدار لشفاء المرضى المصابين بخلل في الدماغ، فإذا أصيب طفل في اليسرى تحت سن الثانية فإن قدرته تنمو بشكل طبيعي وكلما زاد عمره صعب اكتسابه للغة إلى أن يصل إلى سن الرشد فيصاب بعاهة لغوية دائمة.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص143-144.

أما الصفة الأخيرة فهي عدم تأثير التدريب على تطور الصفة المحكومة بيولوجيا وهذا التدريب لا يفيد الطفل إلا من ناحية زيادة مفردات الطفل التي تعتبر أقل مظاهر اللغة صعوبة من حيث الاكتساب.

5. هل يمكن أن تتعلم الحيوانات اللغة؟

مما لا مجال للشك فيه أن لغة الحيوانات هي مجرد وسيلة تواصل وليست لغة حقيقية، وقد درس العلماء إمكانية تعليم اللغة البشرية لبعض الحيوانات منها الدلفين والشمبانزي، وقد سبق الذكر أن التجارب العلمية على الدلفين لم تأت بنتيجة تذكر حتى الآن، أما الشمبانزي فقد أجريت عليه عدة تجارب سنكتفي بذكر أهمها:

- "**التجربة الأولى كانت للأستاذ "كلوج" وزوجته عام 1931 كانت لهما أنثى شمبانزي تدعى "جوا" Gua عمرها سبع شهور**"[1]، رباها مع ابنهما بنفس الطريقة وكانت النتيجة أن جوا لم تتكلم مطلقا إلا أنها استطاعت أن تفهم معاني ما يزيد عن 70 مفردة، أما الطفل فقد اكتسب اللغة بشكل سوي.
- أما التجربة الثانية فقد قام بها الأستاذ "هايزر" وزوجته عام 1947 على طفلة شمبانزي "فيكي" Vicki التي لم تترك على سجيتها مثل جوا بل قام العالمان بتدريبها ثلاثة أعوام تدريبا مكثفا، وقد استطاعت فيكي فهم عدد كبير من الألفاظ ونطق أربع كلمات فقط بصورة غير واضحة.

وقد دلت هذه التجارب وغيرها الكثير أن القرد ليس مهيأ فيزيولوجيا لنطق الأصوات الموجودة في اللغة البشرية، لذا توقف العلماء عن محاولاتهم في تعليم الحيوانات لغة البشر بأصواتها المعروفة، وأرادوا أن يعلموها أشكال أخرى للتواصل سنذكر تجربتين أولهما قام بها الأستاذ "جاردنر" وزوجته اللذان حصلا على أنثى شمبانزي "واشو"Washos التي تبلغ العام الواحد وقد استعملا لغة الاشارة للتحدث معها بشكل مستمر، وقد كان تطور اللغة عندها في الأطوار الأولى شبيها بالتطور عند

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص147.

الطفل البشري فقد اكتسب واشو مائة لفظة في وقت قصير، وقد تميزت لغة واشو بخصائص لغوية بشرية هي دلالة الكلمة على الفعل أو شيء معين، فهي تعرف العلاقة بين الكلمة وما تدل عليه من الأشياء الموجودة في العالم الحسي، وأيضا التعميم أي استعمال الكلمة في مواقف متعددة متشابهة وعدم الاقتصار على موقف واحد، وكذلك الإشارة إلى أشياء غير موجودة أو أناس بعيدين، ولكن أهم صفة لغوية تميزت بها لغة واشو هي القدرة على الإبداع والابتكار فقد كانت تستعمل عدة تراكيب عفويا تشبه لغة الأطفال غير أن واشو لم تتقيد بالنظام التتابعي للكلمات wordorder وهذا دليل على أن واشو لم تفهم طبيعة اللغة.

"أما التجربة الثانية فقد قام بها الدكتور دافيد بريماك الذي أجرى تجاربه على أنثى الشمبانزي "سارة" Sarah التي وضعها في قفص خاص وأخضعها لتدريب دقيق طول الوقت واستعمل نماذج بلاستيكية كل شكل منها يمثل كلمة واحدة (مثلا: المثلث الأزرق يعني تفاحة) كما توجد نماذج تدل على الأفعال والحروف أيضا"[1].

وتوصّل إلى ما يلي:

- استطاعت سارة فهم أكثر من 100 كلمة.
- استطاعت سارة فهم المعاني المعقدة مثل: شبيه أو مختلف عن، وبعض الجمل الشرطية.
- تطيع الأوامر وتستطيع الإجابة عن الأسئلة فإذا سئلت مثلا سؤالا يتألف من النماذج الدالة على الكلمات الآتية: سؤال، كوب، يشبه ملعقة، فإنها تجيب إجابة صحيحة بأن تستعمل النموذج الدال على كلمة.
- جميع الفحوص تختبر الفهم فقط وهذا لا يعني قدرتها على الحديث.
- مع عملية صحيحة تقوم بها سارة يقدم لها قطعة شوكولاتة وهذا مشابه لأحد مبادئ المدرسة السلوكية.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص150.

- **"ومن أهم نتائج التجربة هي إدراك سارة خاصية الشكل الهرمي للتركيب (والذي فصلنا فيه في موضع سابق)، فهي تفهم أنه بإمكان وضع عبارة مؤلفة من كلمتين مثل "الصحن الأحمر" في نفس الاطار الذي يمكن أن توضع فيه كلمة "الصحن" كما يلي: سارة، ضعي التفاحة في الصحن الأحمر"**[1].

لكن بإمكان الإنسان أن يقوم بتغيير الترتيب أو تحويل الجملة المثبتة إلى منفية أو استفهامية.

ومهما كثرت التجارب واختلف مدى نجاحها ففي النتيجة أن الحيوان غير مطبوع فطريا لتعلم لغة شبيهة بلغة الإنسان.

6. كيف يصدر الكلام عن المتكلم وكيف يفهمه السامع؟

يعتبر هذا الموضوع من أهم وأصعب المواضيع التي يمكن بحثها بشكل علمي، وكنا قد أشرنا إلى عمليتي إصدار الكلام وسماعه وفهمه في الفصل الثاني من الجزء الثاني ويجب أن نطلع على ما وصل إليه المختصون في علم اللغة النفسي اعتمدوا في بحثهم أدلة غير مباشرة ولم يقتصروا على دراسة الكلام السوي بل درسوا ما يمكن أن يطرأ من خلل على التعبير.

تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: يختلف مما يحدث أثناء الكلام العفوي من توقف وتردد لفترات ولأسباب مختلفة.

النوع الثاني: يتألف من أخطاء لغوية تدعى زلات اللسان تكون في الكلام العادي أو المصابين باضطرابات لغوية ناتجة عن إصابة في الدماغ.

أما التوقف فقد يكون متصلا بعملية التنفس يكون عند فواصل أقسام الجمل وقد يكون ناتجا عن تردد وهذا ما أولاه العلماء عناية خاصة نظرا لأنه كثير الحدوث بحيث يأخذ ما بين ثلث ونصف الكلام كله، وهو يحدث في أوساط الجمل، فالمتكلم لا يخطط في عقله لجملة كاملة ثم ينطف بها ثم يخطط للجلمة التي تليها، بل يخطط للجملة الأولى ثم يبدأ بالنطق بها ويتوقف أحيانا ليخطط للجملة التي تليها.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص152.

أما النوع الثاني من الأدلة التي تتألف من زلات اللسان بالنسبة للأصحاء والاضطرابات الكلامية بالنسبة للمصابين بالحبسة Aphasia.

"أما زلات اللسان فهي شائعة جدا والتي يقول علماء اللغة بأنها تدلنا على الكيفية التي يخطو بها الكلام في ذهن الإنسان لذلك الأجدر أن تسمى زلات العقل لا زلات اللسان"[1].

وبالنسبة للأخطاء الكلامية فهي متنوعة تنقسم بوجه عام إلى نمطين:

النمط الأول: استعمال الكلمة الخطأ في مكان كلمة أخرى كأن تطلب ملعقة وأنت تريد شوكة، وهذا ناتج عن خطأ في اختيار الكلمة المناسبة.

النمط الثاني: التنفيذ الخاطئ للبرنامج الذي خطط في الذهن، كأن نقول لا تشتري الكتاب الذي نهايته في فهرسة وأنت تقصد "فهرسه في نهايته".

وقد توصلوا إلى عدة نتائج حصروها فيما يلي:

01. توصلوا إلى فرضية مقنعة من وحدة الكلام unit of speeck التي يخططها الإنسان في ذهنه قبل النطق بها وهو ما دعوه بالمجموعات ذات النغم الواحد Tone groupeوهي تلك الجمل القصيرة التي تنطق بنغمة واحدة ودليل ذلك أن جميع زلات اللسان تحدث داخل مثل هذه المجموعات.

02. تقدموا بفرضيات عن كيفية التخطيط للمفردات وقواعد اللغة وتجميعها فقد تبين أنه من الممكن تقسيم تخطط الكلام إلى مرحلتين:

- مرحلة التخطيط الإجمالي الذي يبدأ أثناء النطق بالجملة السابقة يشمل اختيار الألفاظ.
- مرحلة التخطيط التفصيلي الذي يبدأ أثناء نطق الجملة المخطط لها ويشمل تنظيم المفردات.

03. وصلوا إلى كيفية تخزين الإنسان للمفردات ثم الانتقاء حسب الحاجة فقد قام الأستاذ "روجر بروان" بتجربة أثبتت أن الكلمات تختزن بطريقتين في آن واحد فالإنسان يختزن المعنى زائد الشكل الصوتي.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص155.

"وهذه نتائج بالغة الأهمية وهي فرضيات قابلة للإثبات أو النقض لأنها تتعلق بأمور تجري داخل العقل، لكنها استخدمت المنهج العلمي الذي يوصل إلى نتائج ثابتة"[1].

أما في ظاهرة فهم الإنسان لما يسمعه من كلام فقد استعانوا في دراستها على دراسة الكلام الذي يصعب على الإنسان فهمه ومحاولة فهم الأسباب التي تجعله صعبا، ويجب أولا أن نتخلص من بعض النظريات التقليدية منها التي تقول أن المستمع يتلقى الرموز الصوتية بشكل سلبي ثم يطابقها مع الرموز الصوتية المخزنة في ذهنه فيتعرف عليها، وأثبت بطلانها علماء اللغة وعلماء الأصوات، لأن الفرد لا يمكن أن يسجل الأصوات المنفردة نظرا لسرعة النطق بها، إضافة إلى أن الصوت الواحد يختلف نطقه من كلمة لأخرى ومن شخص لآخر، كما أثبتت الآلات الحديثة التي تصدر الصوت بشكل مرئي عدم وجود حدود واضحة بين الأصوات المتشابهة، وقد دلت الأبحاث التي اتبعت هذا المنهج في الدراسة منها التي قام بها الأستاذ "توم بيفر" أن المستمع عنصر فعال عند استماعه للكلام فهو يستفيد من معرفته بأصوات اللغو وقواعدها ومعاني مفرداتها لتكوين توقعات حول ما يسمعه فإذا سمع جملة بدأت بفعل فيتوقع بعده وجود فاعل حسب قواعد اللغة.

كما أثبتت نفس الأبحاث أن المستمع يفهم الجمل البسيطة أسهل من الجمل المعقدة والجمل ذات التركيب الأساسي أسهل من الجمل التي تختلف عن ذلك التركيب مثل جملة مكونة من فعل وفاعل أسهل على الفهم من جملة تتركب من فعل مبني للمجهول ونائب فاعل.

وقد أطال في هذا الفصل نظرا لأن موضوع طبيعة اللغة قد استطاع أن يسير على منهج علمي مغاير للمناهج التقليدية السابقة وكذلك لأهمية وطرافة الموضوع.

الباب الرابع: اللّغة والمجتمع

1. الشكل والوظيفة:

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص159.

مما سبق فإن اللّغة يجب أن تدرس من زوايا عديدة، وقد تعرضنا إلى الدراسات تلك التي يتعاون على القيام بها علماء اللّغة وعلماء النفس والتي تتناول بوجه خاص علاقات اللّغة بالعمليات الفكرية، ودراسة اللّغة بنفسها ينبغي أن تدرس من زاويتين هما:

"الأولى: هي التي تتعلق بالشكل أو البنية الظاهرة، أي الطرق أو القواعد التي تستخدم في اللّغات المختلفة لتنظيم أصوات اللّغة ومفرداتها بحيث تؤدي المعاني المطلوبة، وهذا ما تطرق إليه معظم اللّغوين القدامى.

الزاوية الثانية: فهي التي تتعلق بالوظيفة أو الوظائف التي تؤديها اللّغة في المجتمعات البشرية، وبعلاقة اللّغة بالمجتمع: كيف يؤثر فيها وكيف تؤثر فيه، وما يطرأ على كل منهما من تغيّر وتطوّر نتيجة لذلك"[1]، ويدرس كل من هذه المواضيع على حدى قديما، أما حاليا فهو أن العلماء المعاصرون يحاولون أن يجمعوا تلك الموضوعات ويضعوها في إطار موحّد متصل اتصالاً وثيقا بعلم اللغة، إضافة إلى التوصل لبعض القوانين العامة التي تتحكم في الاستعمال الفعلي للغة في مجتمع معين أو في جميع المجتمعات.

2. وظائف اللّغة:

لقد كان الاتجاه السائد قديما يؤكد أنّ اللّغة وعاء للفكر وأن وظيفتها هي التعبير عن الفكر الإنساني سواء كان متعلقا بأمور عقلية محضة أو بالعواطف والأحاسيس والرّغبات الإنسانية، "**إضافة إلى أنّ علاقة اللّغة والفكر ليست واضحة تمامًا ولكنها على كل حال ليست علاقة في اتجاه واحد، أما المحدثون فمعظمهم يفضلون أن يقصروا اللغة وظيفتها الاتصال، ولكن كلمة "اتصال" فيها كثير من الغموض الدلالي"**[2] بحيث لا تعلم إذا كانت تشمل كثيرا من الوظائف اللّغوية التي تبدو ذات طابع اجتماعي، كما أنها تشمل فعلا وسائل الاتصال غير اللّغوية التي يستخدمها الإنسان كالإشارات وتعبيرات الوجه واللّمس والحركات الجسمانية الأخرى، وربما كان أفضل ما نفعله هنا لكي

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص169.

[2] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص170 .

نأخذ فكرة شاملة عما عن عمل اللّغة هو أن تنظر في اللّغة على أساس أنها مظهر من مظاهر السلوك الإنساني إن لم تكن الأهم تلك المظاهر جميعا، وقد قسم "**إدوارد هول**" في كتابه "**لغة بغير كلام**" مظاهر الحياة المختلفة إلى عشرة أنواع يتفاعل كل مظهر منها مع التسعة الأخرى لتكون معا شبكة متداخلة العلاقات الإنسانية: وقد وضع اللّغة على رأس هذه المظاهر جميعا.

أ/ أن أول الوظائف اللغوية و مظاهر السلوك اللّغوي هي استعمال اللّغة الجسمانية والصوتية، كاستعمال اللّغة للتحية بأنواعها لإظهار التأدب واللّطف وذلك في المناسبات الاجتماعية المختلفة، كأن تقابل أحد الجيران أو المعارف صباحا فتقرئه السلام ويرد صباح الخير، صباح الخير، كيف حالك؟ حسن الحمد لله. ويمكن استخدام تعابير مختلفة ولكنها كلها تصب في نفس الوظيفة، كذلك تحوي الأحاديث بين الناس في المناسبات والحفلات... والقصد من هذه الأحاديث على ما يبدو إقامة علاقات اجتماعية إنما وظيفتها الأولى وظيفة اجتماعية، وهي أحد الأسس التي يقوم عليها الشعور بالانتماء الاجتماعي.

ب/ وشبيه بهذه الوظيفة اللّغوية استعمال اللّغة في الطقوس الدينية والأدعية والناحية واستعمالها في طقوس الشعر والشعوذة...إلخ من ناحية أخرى، ففي الحالة الأولى تكون وظيفة اللّغة هي الاتصال بالخالق إضافة إلى تقوية الصلة بين أبناء المجتمع والقصد هنا هو اللّغة التي وضعها الإنسان لأنها متغيرة كلغة الأذان والصلاة في الأديان المختلفة وخطبة الجمعة، أو لغة المناسبات كعقد القران والتعزية والتهنئة...، فهذه اللّغات تتميز عادة باستخدام الكلمات الغامضة والقديمة والاستفادة من الجرس الموسيقي عليها، كما أنها تتميز بصفة هامة جدا هي المحافظة الشديدة بحيث يستمر نص معين مئات السنين ثابتًا، فوظيفة اللغة إذا مرتبطة بالعلاقة الشخصية بين العبد وربه وانتماء الفرد لأسرة ما.

ج/ كما أن هنالك استعمال آخر للغة في مناسبات رسمية وبعضها ذات طابع ديني أو قانوني أيضا: كالمحاكمات والبيع والشراء والزواج...، إلاّ أن وظيفة اللّغة عنا لا هي اجتماعية ولا شكلية قليلة المعنى، ولا هي نقل للأفكار والمعلومات فمثلا في عقد القران بمجرّد نطق موكل الفتاة بعبارة

(زوجتك...) ويجيب العريس بعبارة (قبلت زواج موكلتك...) فإن لكلام كل منهما وقع الفعل، كذلك نفس الوظيفة تنطبق مع الأحداث الأخرى...

د/ وظيفة اللّغة هنا هي إصدار الأوامر والتحكم في تصرفات الآخرين أو السيطرة على أشياء أخرى في البيئة المحيطة بنا، وتشمل هذه الوظيفة نواحي كثيرة من حياتنا اليومية منذ أن نستيقظ إلى أن ننام، إن جزءًا كبيراً من اللّغة التي نستعملها في حياتنا يتألف من الأمر نحصل بواسطته على ما نحتاج إليه من أمور مادية كالطعام، لباس وغيرها.

هـ/ وفي حياتنا العادية تختلط النواهي والأوامر بالسؤال عن الأشياء والرّد على السؤال بإعطاء بعض المعلومات مهما كانت تافهة، وهذه إحدى الوظائف الأساسية التي يشار إليها بوظيفة الاتصال، والواقع أن المعلومات تنتقل من شخص لآخر أو من فرد إلى مجموعة كبيرة أو صغيرة، ليست كلها معلومات عادية متعلقة بأمور الحياة اليومية بل أن تلك المعلومات يتم نقلها في اجتماعات تجارية، اقتصادية، سياسية، علمية...

"وهي معلومات مهمة جدا ومؤثرة على حياة الملايين، أما لغة وسائل الإعلام ففيها من المعلومات ما هو هام وما هو هام، لكن فيها أيضا أمر أخر غير المعلومات يقصد إلى التأثير على البشر وإقناعهم باستعمال لغة التوجيه والإقناع"[1].

و/ وللغة المكتوبة وظيفة في غاية الأهمية على الرغم من أنّه من الممكن أن يقوم مجتمع معين بحفظ دينه وتراثه وأدبه وعاداته بطريقة شفوية من جيل إلى جيل، فإن ذلك التراث معرّض للضياع والتحريف بسبب الذاكرة والنفس البشرية، ولكن نفس هذا المجتمع إذا تطوّر وزاد تراثه زيادة هائلة فالأصح هو حفظ ذلك كله وتسجيله كتابة، كما أنه لم يعد ممكنا الآن الاعتماد على اللّغة المنطوقة ولا على المكتوبة بل أصبحوا يستخدمون آلات حديثة كالحاسب الآلي لتخزين المعلومات.

ز/ ولا شك في أنّ اللّغة تستعمل أيضا للتعبير عن المشاعر المختلفة كالفرح، الغضب، السعادة، ويتراوح مستوى التعبير عن تلك الأحاسيس من الغناء والتصفير إلى أرقى أنواع الشعر والنثر، وفي

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص174.

معظم هذه الحالات يكون استعمال اللّغة للتنفيس عما في داخل الإنسان، فوظيفة اللّغة هنا التعبير عن المشاعر.

حـ/ وهنا نذكر وظيفة كانت تعتبر الوظيفة الوحيدة للغة ولا زالت تعتبر من أهم وظائفها وهي: التعبير عن الفكر، وربما كان من طريف ما يذكر أنّ هنالك وظيفة متناقضة لهذه وهي استعمال اللّغة لإخفاء الفكر أو إخفاء الفقر إلى الأفكار، وهذا الاستعمال خاص بفئة معينة كالسياسيين والخارجين عن القانون...، وفي هذه الحالات يستعمل كلام كبير لتغطية أفكار هزيلة أو تستعمل عبارات خاصة معناها الخارجي غير مقصود بل تشير إلى معاني أخرى متفق عليها بين أفراد فئة معينة من الناس.

"إنّ وظيفة اللّغة في نقل الأفكار من أهم وظائفها جميعا ومنذ اختراع الكتابة وتسجيل الأفكار تمكن البشر من نقل تلك الأفكار عبر القرون وكانت نتيجتها هذه الحضارة المتقدمة، وليس هنالك خلافا على هذه الوظيفة ولكن هناك خلاف كبير على علاقة اللّغة بالفكر"[1].

3. اللّغة والفكر:

مما سبق ذكرنا أن اللّغة وسيلة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية، ولكن هل يمكن القول أن اللّغة وسيلة للتعبير عن الفكر؟

لقد اتخذ الباحثون مواقف مختلفة وأحيانا متعارضة من هذا الموضوع، فعلماء النفس من أتباع المدرسة السلوكية مثل "جون واشون" كانوا لا يميّزون بين اللّغة والكلام بل يعتبرون اللّغة هي الكلام المنطوق فعلاً وقد اعتبروا التفكير نوع من الكلام الداخلي المنطوق على مستوى الحنجرة فقط، كما أن "سكينز" أحد رواد علم اللّغة النفسي كان يعتبر التفكير نوع من السلوك البشري، هذه احدى وجهات النظر التي لم تثبت طويلا للنقد والتجريب فقد تبيّن بالتجربة العلمية أن شل حركة جميع أعضاء النطق بواسطة مخدر مثلا قد أثر على النطق فأوقفه كليا ولكنه لم يترك أي أثر على القدرة على التفكير، هذا من الناحية الجسمانية، أما من الناحية اللّغوية فقد أثبت "تشومسكي" و "دي

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص176.

سوسير" وغيرهما أن اللّغة نظام تجريدي يشارك فيه أبناء المجتمع الواحد، أما الكلام الفعلي فهو واحد من مظاهر القدرة اللّغوية الكاملة.

"أما وجهة النظر المعارضة فتتمثل في نظريات "هردر" و "همبولت" وغيرهما في أوروبا و "ساير" في أمريكا التي تقول بأن للغة تأثير كبيرا على الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع الذين يتكلمون تلك اللّغة والتي تختلف عن طريقة تفكير أفراد المجتمع الذين يتكلمون لغة أخرى"[1]، ولكن هؤلاء جميعًا لم يوضحوا بشكل سريع العلاقة بين اللّغة والفكر، أما صاحب النظرية الواضحة لهذه العلاقة فهو "بنيامين وورف" الأمريكي تلميذ ساير الذي طلع من دراسته للغات الهنود الحمر في أمريكا ومقارنتها باللغات الأوروبية الحديثة، بالنظرية أو الفروضية التي تقول أن البنية اللّغوية أو التركيب اللّغوي هو الذي يحدد الفكر ويسيطر عليه سيطرة كاملة، ولذلك فإن معرفة البشر بهذا العالم وتجاربهم فيه

ونظرتهم إليه ومواقفهم منه تختلف باختلاف اللّغات التي يتكلمونها، أي أن العالم كما يراه البعض يختلف عن العالم كما يراه البعض الآخر، وقد أعطى صاحب هذه النظرية أمثلة كثيرة من بنية الأفعال بشكل خاص في احدى لغات الهنود الحمر المسماة Hopi وقارنها ببنية الفعل في اللّغة الانجليزية واستنتج من ذلك أن نظرة كل من المجتمعين إلى الزمن مثلا تختلف اختلافا جذريا عن المجتمع الآخر، ولكن هذه النظرية أو هذا الشكل المتطرف في النظرية لم يثبت كذلك أمام النقد والتجربة، فمن الواضح أن هناك فكر بدون لغة بدليل توفر الإنتاج الفني من رسم ونحت وتصوير وموسيقي دون حاجة للغة، كما أن بعض العلوم كالرياضيات والفيزياء تقوم حاليا على رموز لا علاقة لها باللّغة،

وعلى الرغم من أن للغة تأثير على طريقة تفكير الفرد الذي يتكلم لغة معينة، إلاّ أن العلاقة بينهما ليست واضحة كأن يتكون الفكر أولا ثم تتبعه اللّغة المعبرة عنه أو العكس.

ومن أسلم القول بأن اللّغة والفكر يعتمد كل منهما على الآخر إلى حد كبير.

4. اللّغة والحضارة:

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص177.

تعد العلاقة بين اللّغة والفكر لا تخص الفرد وحده وطريقة تفكيره ونظرته إلى العالم، ولكنها تمتد لتشمل حضارات بأكملها، فقد حاول الكثير من المفكرين أن يربطوا بين طبيعة التركيب الصرفي والنحوي للغة ما وبين طريقة تفكير المجتمع الذي يتكلم بتلك اللّغة، خربطوا بين ذلك التركيب أو تلك البنية وبين الفلسفة ومظاهر التفكير الأخرى التي أنتجها وينتجها ذلك المجتمع.

"وكما هو الحال بالبنية لعلاقة اللّغة بالتفكير المتبادلة أي أن اللّغة والفكر يؤثر كل منهما على الآخر بشكل من الأشكال، فإنّ العلاقة بين اللّغة وحضارة المجتمع تبدو شبيهة بذلك، فقد دلت الأبحاث والتجارب التي لا زالت تجري على هذه العلاقة على أن اللّغة لا تسيطر سيطرة كلية على أي مظهر من مظاهر الحضارة"[1]. كما أن المجتمعات التي تتكلّم لغات من أنواع مختلفة يمكن أن تشارك في نفس الحضارة، كما حصل بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية مثلاً، ويمكن أن نستعمل مجتمعات تنتمي إلى حضارات مختلفة لغة واحدة، مثلما هو حاصل الآن بالنسبة للغة الانجليزية.

وقد كان ساير أحد رواد علم اللّغة الحديث في القرن الحالي، من أكبر أنصار هذه النظرية القائلة بأن اللّغة هي التي تجعل مجتمعًا ما يتصرف ويفكر بالطريقة التي يتصرّف ويفكر فيها، وأن ذلك المجتمع يستطيع رؤية العالم إلاّ من خلال لغته.

لقد أجريت دراسات كثيرة وأجريت تجارب عديدة بعضها يثبت وبعضها ينقض سيطرة اللّغة على الحضارة وعلى طريقة تفكير المجتمع. ولذلك فإن من المستحسن النظر إلى اللّغة على أنها يمكن أن توجه الفرد للنظر إلى العالم وللتفكير بطريقة معينة يتشابه فيها أفراد المجتمع الوحد الذّين يتكلمون نفس اللّغة، إلاّ أنه لا يمكن التسليم بأن اللّغة هي التي تقرر أو تحمل طريقة التفكير أو طريقة السلوك للفرد أو للمجتمع، كما أن من الخطأ الفاحش القول بأن هنالك لغة بدائية متخلفة ولغة عصرية متقدمة، وربما كانت أعداد المفردات الاجمالية في اللّغات التي تتكلمها المجتمعات التي ندعوها بالمتحضرة أكبر منها في اللّغات التي تتكلّمها مجتمعات بدائية.

5. اللّغة والفرد:

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص179.

انّ اللّغة التي يتكلمها فرد من الأفراد تمثل احدى المميزات الهامة بالنسبة له، فطبيعة الصوت نفسها تحدد نوع ذلك الفرد فيما إذا كان طفلًا أو بالغًا، ذكرًا أم أنثى، شابًا أم شيخًا...إلخ، ليس ذلك فقط بل إنّ طبيعة الصوت تميّز إنسانًا عن آخر، بالإضافة إلى أنها يمكن أن تحدد موقف الآخرين من صاحب الصوت، كما أن طريقة كلام كل منا تختلف عن طريقة الآخر فبعضنا يتكلم بسرعة كبيرة، والبعض الآخر ببطء شديد، والآخرون بين هذه وتلك.

"وعلى الرغم من ذلك كله، فإن هذه الصفات المميزة للغة الفرد لا تجعل من كلامه خاصة لا يفهمها الغير، بل الواقع أن كلام هذا الفرد رغم تميزه عن كلام غيره من الأفراد، فإنه يشترك مع غيره في تلك الصفات العامة التي تميز لغة المجتمع الذي يعيش فيه".[1] ومما سبق ذكره لا يعني طبعا أن اللّغة أو اللّهجة الفردية تبقى ثابتة رغم نمو الفرد جسمانيًا واجتماعيًا وثقفيًا بل على العكس، حتى أن طبيعته الصوت نفسها تتغيّر مع النمو الجسماني، كما أن نمو الفرد ثقافيًا على وجه الخصوص يحدث تغيير كبير جدًا في مفردات وتراكيب اللّغة التي يستعملها.

6. اللّغة واللهجات:

بما أن الفرد عضو في عدة مجموعات في مجتمعه الكبير بمختلف أنواعه والفرد بصفاته هذه يؤثر في اللّغة التي يتكلّمها أفراد المتجمعات الصغيرة والكبيرة التي ينتمي إليها، لما تؤثر اللّغة السائدة في تلك المجتمعات في لغته أو في لهجته الخاصة.

"هذه هي الأوضاع الطبيعية التي تنشأ في المجتمع الواحد في الأحوال المادية الخالية من الهزات الكبيرة كالحروب والغزو والهجرات الجماعية وما شابهها، وفي هذه الأوضاع تتكوّن في العادة للوحدة السياسية الواحدة لهجة خاصة تعرف بها وتميّزها عن الوحدات المجاورة إذا كانت تلك

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص183.

الوحدات تستخدم نفس اللّغة، كما هو الحال بالنسبة للبلدان العربية"[1]. وقد يصل الأمر بهذه اللّهجات أن تستقل كل منها بصفات معينة تختلف اختلافًا كبيرًا عن صفات اللّهجات الأخرى بحيث يصبح فهمها عسيرًا على غير من يتكلمونها هي بالذات فتتحول تدريجيًا إلى لغة مستقلة لا تستخدم في الأمور الحياتية فحسب، بل ويكتب بها الأدب والعلم والقوانين والمعاهدات والمواثيق...إلخ.

وقد اهتم علماء الغرب منذ القرن الماضي بالدراسات اللّغوية التاريخية وتوصلوا إلى تجميع معظم لغات العالم المعروفة في سلالات لغوية، كما اهتموا بدراسة اللهجات الحديثة وتحديد مواصفاتها وتوزيعها الجغرافي في البلد الواحد.

يتجه الباحثون في الوقت الحاضر إلى اعتبار اللّغة مرتبطة بالكيان السياسي الواحد كاللّغة الإنجليزية مثلاً يتكلمها عدد كبير من الناس في عدد كبير من الوحدات السياسية المستقلة كالمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا ونيوزيلاندا وغيرها، فلا تعتبر كل من هذه الأشكال لغة مستقلة عن غيرها، بل احدى لهجات اللّغة الأم.

ولا بد من الإشارة إلى أهمية اللّغة القومية ومكانها والإنجليزية وظيفة للغة القومية الواحدة التي تسعى الدولة عادة تعليمها لمواطنيها جميعًا وظيفة هامة للغاية.

فلا شك في أن اللّغة هي دليل هوية المجتمع وهي من أهم العناصر التي تعمل على توحيد ذلك المجتمع، فالدولة تعمل على نشر هذه اللّغة الموحدة حتى لو لم يستعملها المواطنون إلاّ في الأحاديث والقراءة والكتابة الرسمية فقط، كما هو الحال بالنسبة للّغة العربية في الوقت الحاضر. لكن دور اللّغة العربية في أنها لا تعمل على توحيد أفراد مجتمع في وحدة سياسية واحد وفي قطر من الأقطار أو دولة من الدول، إنما دورها في التوحيد بين أبناء الأمة العربية جميعًا.

7. اللّغة والتباين الاجتماعي:

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص184 .

يعد وضوح ظاهرة الاختلاف او التنوع الاجتماعي دالا على أمور كثيرة بعضها له علاقة بالحسب والنسب، أو الثروة أو المظهر الخارجي من الملابس إلى الممتلكات إلى طريقة التصرّف أو الجنس أو المهنة...إلخ. كما أن على أفراد المجتمع الواحد أن يعرفوا الصفات المميزة لكل شريحة اجتماعية ومدى حرية الانتقال من شريحة إلى أخرى لأن الأمر يختلف من حالة إلى أخرى فهناك مجتمعات يصعب فيها الانتقال.

"واللّغة عنصر هام جدًا لمعرفة وتمييز شريحة عن أخرى، كما أن الانتقال من مظهر من اللّغة خاص بشريحة معينة إلى مظهر آخر يمكن أن يحدث تدريجيا مع تطوّر الفرد، ما يمكن قوله هو أن هنالك مظاهر لغوية خاصة بشرائح اجتماعية معينة تدل على تلك الشرائح دلالة واضحة، فمن الممكن أن تميّز لغة الأطفال عن لغة البالغين مثلا.."[1].

كما هو الأمر بالنسبة لدراسة اللّهجات، فإن الباحثين في هذا الموضوع يقابلون صعوبات جمة منها تحديد الشريحة أو الطبقة الاجتماعية ومنها تحديد المقامات المختلفة، ومن علماء النفس وعلماء الاجتماع يتعاونون في هذا المجال للتوصل إلى أنواع الأساليب المختلفة التي يستعملها الفرد في المقامات المختلفة مع أفراد وشرائح مختلفة.

"لقد قام العالم "مارتن جوس" Martin Joos بتقسيم الأساليب إلى يمكن أن يستعملها الفرد إلى خمسة ".[2]وهي:

1. الأسلوب الجامد: وهو الذي يستعمل فيه كلام رسمي جدًا لدرجة اعتبار المستمع غير موجود، لأنّه يؤثر فيما يقال بأي شكل من الأشكال كأسلوب الخطب والأدعية...
2. الأسلوب الرسمي: وهو ما لا يشارك فيه المستمع أيضًا كالخطب التي تُلقى أمام جمع غفير وتكون معدة إعدادًا جيدًا وتقرأ بعناية بالغة، وكعدد من برامج الإذاعة والتلفاز، وبعض المحاضرات التي تلقى في الجامعات.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص188 .

[2] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص189 .

3. الأسلوب الاستشاري: وهو أسلوب فيه كثير من الأسلوب الرسمي ولكنه يتطلب اشتراك واستجابة المستمع، ولا يخطط له المتكلم بعناية بالغة، كما يتجنب استعمال العبارات المقننة، بل استعمال التراكيب المختصرة وهذا الأسلوب يستعمل بين الحاكم و وزرائه ومستشاريه مثلاً.
4. الأسلوب العادي: وهو الأسلوب الذي يستخدمه الأصدقاء فيما بينهم أو الذي يتخذه جماعة من الناس تناقش موضوعًا مألوفًا لديهم جميعًا، وهذا الأسلوب يفترض خلفية من المفاهيم والمعلومات المشتركة بين المتحادثين ويستعمل كثيرًا من اللّغة العامية.
5. أسلوب الألفة الشديدة: وهو أقل الأساليب رسمية يتألف عادة من أشباه جمل ومفردات وإيماءات، وتستعمل فيه عادة اللّغة العامية جدًا، بل كثيرًا ما تستخدم فيه عبارات ومفردات خاصة بأسرة معينة، ويبدو أن وظيفة هذا الأسلوب تختلف عن الأساليب الأخرى وكأن المقصود منه التعبير عن الأحاسيس والعواطف هذه هي الأساليب الرئيسية الخمسة التي يستخدمها الناس فيما بينهم، إن اختيار الأسلوب أو الشكل اللّغوي محكوم اجتماعيًا ويتوقف على نظرة المجتمع لكل الأشكال اللّغوية المختلفة ووظيفة كل منها، أو مدى قرب الشكل اللّغوي الذي يستعمله فرد من الأفراد أو بعده عن الشكل الوسط من اللّغة.

إن كل ما قيل الآن عن علاقة اللّغة بالتباين الاجتماعي لا يعني فردًا معينًا أو أفرادًا معينين بالذات، فمن أشق الأمور التنبؤ بالصوت اللّغوي للفرد الواحد، لكن جل ما نريد قوله أن لدى الأفراد في المجتمع المعين وعيًا لتلك الفروق اللّغوية الموجودة بين أفراد المجموعات أو الشرائح أو الطبقات المختلفة في ذلك المجتمع.و هذا لا ينطبق فقط على المجتمعات ثنائية اللّغة كبلجيكا وكندا أو ثلاثية اللّغة كسويسرا أو عدة لغات كالهند، بل ينطبق على المجتمعات ذات اللّغة الواحدة.

"إن اهتمام علم اللّغة الاجتماعي بدراسة هذه الظواهر حديث العهد ولا زال في مرحلة الوصف في الوقت الحاضر، والمأمول التوصل إلى القواعد التفصيلية"[1].

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص193 .

8. اللّغة والسن:

تتغير لغة الفرد وتتطوّر في أثناء نموّه دون توقف، ولكنها تكون في أوجّ تطوّرها بداية، وقد علمنا كيف يبدأ الطفل بفترة المناغاة ثم ينتقل إلى تكوين الجمل المؤلفة من كلمة ثم كلمتين ثم عدة كلمات، وفي هذه الفترة يساعد الأبوان أطفالهم على التكلم بلغة خاصة تسمى لغة الأطفال Baby Talk وبعد سن الخامسة يكون الطفل قد تمكن من قواعد لغته واكتسب عددًا كبيرًا من المفردات قبل أن يدخل المدرسة فيطرأ على لغته تغيير كبير.

"وبما أن اللّغة تتطور مع سنّ الفرد فإن لكل من تلك الأعمار صفات لغوية تميّزها عن غيرها ويمرّ بها كل فرد أثناء نموّه"[1]. بما أن أفراد المجتمع يعرفون القواعد التي تحكم استعمال اللّغة في الأعمار المختلفة،

فإذا حدث خرق تلك القواعد فإن ذلك الخرق يكون واضحًا للجميع وعرضة للتعليق أو النقد أو الاستلطاف.

09- اللغة والجنس:

المقصود بذلك الفرد مذكرًا أو أنثى، وتختلف اللّغة بعض الاختلاف بين الجنسين، ومن هذه الفروق مثلا أن أصوات النساء أكثر حدّة أو أعلى طبقة من الرجال وذلك لأسباب بيولوجية معروفة، كما أن نطق النساء أكثر وضوحًا من الرجال وأكثر منهم حرصًا على النطق السليم للمفردات والجمل، لذلك هن لا يقبلن التجديد في اللّغة بسهولة، هذا من ناحية عامة. أما فيما يتعلق بالمفردات بشكل خاص فإن النساء يستعملن بعض المفردات لا يستعملها الرجال ومن أمثلة ذلك استعمال النساء لبعض كلمات في الألوان.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص195 .

وتزداد هذه الفروق كلما زاد انعزال المرأة عن الرجل، وتقل كلما زاد اختلاطهما بالمجتمع الواسع وشاركت الرجل في حياته وعمله...

"كما أن في كثير من اللّغات ما يعتقد بأنه تحيّز للرجل ضد المرأة، خاصة في اللّغة الإنجليزية ويستشهدون بقاعدة التغليب، والتي تقضي باستعمال ضمير المذكر للدلالة على كلا الجنسين"[1].

ولا زالت اللّهجات العامية في معظم البلدان العربية تزخر بالأمثلة التي تشير إلى أن نظرة الرجل إلى المرأة لا زالت متخلفة جدًا.

الباب الخامس :تركيب اللّغة وأنظمتها المختلفة :

مقدمة :

لقد أشرنا في الفصل الثاني إلي مدى تعقيد اللّغة و المراحل التي يمر بها الكلام . أما في الفصل الثالث فقد أعطينا لمحة حول ما توصل إليه الباحثون حول موضوع طبيعة اللّغة و كيفية تكوين رسالة المتكلم و فك رموزها عند المستمع و الأمر المهم هو المنهج العلمي الذي استخدم في دراسة هذه الظواهر ، وفي هذا الفصل سنسلط الضوء على دراسة كلام البشر بشكل عام . الدراسات اللّغوية حتى عهد قريب تصب اهتمامها حول اللّغة بشكلها المكتوب ،إلى أن لاحظ علماء اللّغة الإخلاف الواضح بين الكلام واللّغة المكتوبة . فالكلام يستطيع أن يعبر عن المعاني العامة إضافة إلى الأحاسيس والمشاعر الشخصية التي تعجز اللّغة المكتوبة في التعبير عنها عجزا جزئيا أو كليا حاولوا تعويضه بعلامات الترقية و الوقف .فاللّغة أساسا كلاما لا كتابة فملاين البشر في عالمنا هذا لا يقرؤون ولا يكتبون . و الكلام يستقر في الإنسان سواء كان متعلما أو أميا أضعاف ما تستغرقه القراءة أو الكتابة ، ثم إن مهارة الكلام أسبق عند الطفل من مهارتي القراءة والكتابة . و بناءا علي هذا ينبغي أن تعطى الأفضلية في الدراسات إلى الكلام . وهذا ما طبقه علماء اللّغة المحدثون ،وفي دراستنا للكلام يمكن القول أنه مجموعة أصوات نتواصل بها بيننا و نعبر بها عن أفكارنا و مشاعرنا على مستوى لم

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص196 .

يصل إليه أي كائن آخر غير الإنسان علي وجه الأرض . فيقول أحد المحدثين :"**هل تستطيع أن تدلني على أحد يستطيع أن يستغل النفايات بطريقة أخرى و أكثر كفاءة و أهمية من استعمال الإنسان لنفايات عملية التنفس ؟**".

و الجواب طبعا لا فالكلام ما هو إلى اعتراض سبيل الهواء المطرود من الرئتين في مواضع مختلفة . و كذلك أعضاء النطق ليس لها وضيفة كلامية أساسية بل إما عملية الأكل أو التنفس أو كلاهما .

" **للكلام مظهران أساسيان هما: الأصوات التي يمكن دراستها دراسة فيزيائية لأنها شيء محسوس ، و المعاني المجردة التي لا تفهم إلا بالعقل**"[1] . فالأصوات هي الصغرى التي تعبر عن المعاني .والأصوات المفردة عند انتظامها في مجموعات تسمى كلمة تدل على معنى و بانتظام هذه الكلمات وفق نماذج معينة تنتج ما يسمى بالجمل التي تؤدى الوظيفة المطلوبة .

2-**النظام الصوتي للّغة** :

بما أن الأصوات شيء محسوس فإن الاهتمام بدراستها أمر قديم لازال مستمر حتى في الاتجاه العلمي الحديث .من جوانبها الثلاث :

أولها: الجانب النطقي الذي يشمل الجانب الفيزيولوجي ووظائف الأعضاء و حركتها و الصفات الخاصة بالأصوات .

ثانيا : انتقال الأصوات في الهواء يشمل الطبيعة الفيزيائية للأمواج الصوتية و صفات كل موجة وقياسها .

ثالثا :الجانب السمعي و يشمل جانبين :الناحية الفيزيولوجية تدرس طبيعة الجهاز السمعي و طريقة انتقال الصوت من الأذن إلى الدماغ ، و الناحية النفسية تتعلق بطريقة فك الدماغ للرموز .

و رغم اهتمام علماء اللّغة بدراسة الجوانب الثلاث إلا أنهم ركزوا علي الجانب الأول الذي يعتبر أقدم جوانب الدراسة الصوتية لأنه يمكن أن يخضع للوصف .

و لم يقتصروا في دراساتهم على جانب النطقي بل كان لهذا العلم فرعان :

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص205

"علم الفوناتيكا :phonetics يدرس الأصوات من وجوهها المختلفة باعتبارها مادة الكلام.

علم الفونولوجيا phonology:يستخلص من الدراسات المادية تلك القواعد التي تنظم الأصوات في سلاسة ذات معنى و بذلك تؤدى وظيفتها الأساسية في الكلام و أول فرع اهتم به الدارسون يتعلق بالأصوات الفعلية التي يصدرها المتكلم "[1].

الشق الأول : يتعلق بوصف أعضاء النطق ووظيفتها و طريقة عملها .

الشق الثاني : يتعلق بالأصوات الصادرة عن تلك الأعضاء و كيفية صدورها و بيان صفاتها الخاصة .

و بما أن موضوع البحث قديم المؤلفات التي تناولته متوافرة بكثرة فسنعرض أهم العناصر و نعطي أمثلة فريدة .

و هناك أجهزة مختلفة تستخدم في عملية النطق ابتداء من الرئتين وبشكل و كل منها يؤدي وظيفة ما

1- الشفتان lips

2- الأسنان teets

3- أصول الثنايا (مقدم الحنك) alveolarredge

4- الحنك polate

5- اللهاة velum

6- السان tongue

7- الحلق pharynx

8- لسان المزمار epiglottis

9- الحنجرة بالوتران الصوتيان larynx

10- القصبة الهوائية windpipe

11- التجويف الأنفي nosalcarity

و هناك ملاحظات حول هذه الأجهزة :

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص211 .

أولا :معظم الأجهزة ثابت غير متحرك و أهم الأجهزة المتحركة هي الوتران الصوتيان ، اللهاة ، الشفتان و اللسان الذي يلعب الدور الأهم مما جعل كثيرا من اللّغات تطلق اسمه على اللّغة نفسها .

ثانيا :معظم الأصوات تخرج من تجويف الفم ماعدا ثلاثة و أربعة أصوات تستعمل التجويف الأنفي لنطقها بشكل رئيسي .

ثالثا : إذا طرأ خلل علي أحد هذه الأجهزة تأثر إصدار الصوت قليلا إلي أن يتعطل تماما في حال تعطل الوترين الصوتيين مثلا .

أما دراسة الأصوات من حيث نطقها فالتصنيف الأول يقسمها إلي قسمين :

القسم الأول : يشمل الأصوات التي تصدر عند مرور الهواء دون أن يعترضه عائق ، و الذبذبة هي التي تعطيه صفة الصوت (الجهر). و اختلاف الأصوات عائد إلي حركة اللسان و شكل الشفتين و هذه الأصوات تسمى الأصوات الصامتة (حروف المد).وهي أصوات طويلة تقابلها أصوات قصيرة(الحركات).

القسم الثاني : يشمل الأصوات الصامتة consonants منها المجهور voiced ومنها المهموس voicless وتحدث عند اعتراض عائق للهواء الخارج من الحنجرة و يمكن تصنيف الأصوات الصامتة بذكر الأعضاء التي تشترك في النطق ،والطريقة التي تنطق بها و طبيعة الصوت (مجهور أو مهموس)مثلا حرف الدال صوت انفجاري وهو في اللّغة الإنجليزية لثوي بينما في اللّغة العربية لثوي أسناني ، و كذلك صوت مجهور . و هذه بعض صفات هذا الصوت التي يمكن لعلم الفوناتيكا.

تعد أكثر من ذلك بكثير و في هذا الموضوعات توجد عدة ملاحظات يجب الإطلاع عليها .

"الملاحظة الأولى : لكل اللّغة عدد محدود من الأصوات المختارة من بين عدد غير محدود يمكن لأجهزة النطق إصداره .و باستطاعة الإنسان أن يركب من هذه الأصوات المحدودة إعداد ضخمة من المفردات وصلت في اللّغة الإنجليزية إلى نصف المليون .

الملاحظة الثانية: بعض االلّغات المكتوبة لها أبجديات للدلالة علي الأصوات التي تتألف منها الكلمات إلا أنها ناقصة من حيث تأدية الوظيفة"[1]، فبعض الحروف تنطق بأكثر من طريقة مثل: حروف c.g.....فتتسع الهوة بين نطق الكلمة و تهجئتها . أما في اللّغة العربية لا توجد حروف تدل على بعض الأصوات كصوت الفتحة ،الضمة و الكسرة و لا توجد رموز تدل على بعض المعاني في الجمل كالنبر stress و التنغيم intonations أما الحركات فلم يركز عليها علماء العرب لأنها لم تكن موجودة بل أضيفه حديثا على يد أبو الأسود الدؤلي ثم الخليل ، بالإضافة إلى خلطهم بين حروف المد و اعتبروها نوعا واحدا لكنها نوعان مختلفان . مثلا حرف الواو في كلمتي ولد و حوت فقد صنفها علماء اللّغة الغربيون تصنيفا مختلفا بينما لم يفعل ذلك سوى بعض مشاهير اللّغويون العرب كابن جين و الخليل ،و أساء معظمهم في صوت الهمزة فصنفوه مع حروف المد بينما هو صوت صائت و ذلك لاعتمادهم على المكتوب لا المنطوق في دراستهم .

"و هذا لا يعني أن العرب يسهموا بدراستهم الصوتية بل كانت لهم نتائج رائعة تختلف عما وصل إليه علماء الغرب بعدهم بعصور"[2] .

إن طريقة نطقنا للأصوات تختلف من شخص لآخر و هذا راجع لتكوين الفيزيولوجي و للعادات اللّغوية المتعلقة بالنطق ،و هذا الاختلاف يمكننا من تميز أصوات الآخرين دون الحاجة إلى رؤيتهم أي أن لكل منا اللّغة الخاصة idiolect فأصوات اللّغة لا تنطق بشكل واحد و حتى الإنسان الواحد لا ينطق الصوت الواحد بنفس الشكل في السياقات اللّغوية المختلفة.ورغم الاختلاف في نطقه لكننا نعرف أن الصوت الواحد في كل هذه الحالات . "**إن رفع الصوت أو خفضه في اللّغة العربية يدل على حالة نفسية لكنه لا يغير معنى الكلمة.إلى أنه في اللّغة الصينية و بعض اللّغات الأخرى التي**

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص216 .

[2] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص217 .

تدعى اللّغات التنغيميةlanguagestone فرفع الصوت أو خفضه أو رفعه ثم خفضه ثم رفعه على نفس الكلمة يعطى الكلمة أربعة معاني مختلفة تماما "[1].

و أهم ما يعنينا هو الأصوات التي تستطيع أن تغير المعنى فإذا أخذنا كلمتين متشابهتين في جميع الأصوات ماعدا صوت واحد ولاحظنا أن المعنى قد اختلف فهذا يعنى أن كلا من الصوتين صوت متميز أو فونيم مثل كلمتي :طال ،قال فلكل منهما صوت متميز أو فونيم مستقل ،و أسلوب المقابلة هذا contrast هو الذي استعمله معظم علماء اللّغة لإكتشاف و تثبيت الحروف الأبجدية .

و تختلف الفونيمات من اللّغة إلي أخرى و تعتمد على صفات مختلفة فما يمكن أن تكون صفة مميزة لصوت ما في إحدى اللّغات لا يجب أن يكون بالضرورة صفة مميزة لنفس الصوت في اللّغة أخرى .ففي الإنجليزية يختلف الصوتان bوp عن بعضها حسب صفتي الجهر و الهمس إلا أن هذه الصفة ليست مميزة في اللّغة العربية بين حروف الباء المجهور و المهموس .إذا ليس لدينا إلا فونيم واحد مستقل هو الباء في اللّغة العربية . فالفونولوجيا إذا اعلم يدرس الظروف و السياقات اللّغوية التي تجعلها ننطق نفس الفونيم بأشكل مختلفة كما يبحث في القواعد التي تنظم الأصوات في كلمات ،و يدرس ما يمكن أن يلتصق من أصوات و ما لا يمكن ،و ما يمكن أن تبدأ به الكلمة و ما لا يمكن ...ففي اللّغة العربية مثلا لا يمكن أن يكون هناك سلسلة من الحروف الصامتة دون أن يكون بعد كل واحد أو اثنين منها حرف صائت .

2- النظامان الصرفي و النحوي :

أ- النظام الصرفي :

يعتبر النظام الصرفي جزء من النظام اللّغوي ككل و الذي يمثل وحدة مترابطة.و كل من النظامين الصرفي و النحوي يرفد الآخر و يتصل به اتصالا وثيقا فالأول يدرس البناء الداخلي للمفردات و الثاني يبحث في علاقة المفردات ببعضها في الجمل ، "**و على الرغم من هذا الترابط بين أنظمة اللّغة**

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص219 .

إلا أنه على الدارس معالجة كل نظام علي إنفراد تفاديا للتشابك الكبير القائم بينهما و تسهيلا للدراسة"[1].

وقد أشرنا فيما سبق إلي النظام الصوتي الذي يعتبر آخر مظهر من مظاهر اللّغة ،وقد بدأنا به لأنه المظهر الحسي الوحيد الذي يدل على المعنى و على القواعد اللّغوية .ولابد من الإشارة إلي العوامل التي تأثر بها علماء اللّغة في الغرب في النصف الأول من القرن الحالي .

أولا :قناعتهم بأن القواعد التقليدية اللّغات الأوربية الحديثة ليست صالحة لهذه اللّغات لأنها مبنية على قواعد اللّغتين اليونانية و اللاتينية وكلاهما لغتان الحديثة .

ثانيا :تأثرهم بالمدرسة السلوكية التي اقتصرت نظرياتها على دراسة المظاهر الخارجية الحسية للسلوك ،لذلك جاءت دراسات اللّغويين الحديثة وصفية لا معيارية .لذا استبعدوا المعاني من دراساتهم و حاولوا دراسة ظاهرة اللّغات الحديثة .

ثالثا :كانت دراسة اللّغة الهنود الحمر التي لم تكن قواعدها معروفة حافزاً لبعض علماء الأجناس. خاصة في الولايات المتحدة علي استنباط منهج علمي لوصف تلك اللغة و تعقيد قوانينها.

"**لهذا انطلق العلماء المحدثون في أبحاثهم الصرفية من نقطة الصفر دون فرضيات مسلّم بها**"[2] ، فرغم أن تعريف الكلمة واضح لعامة. الناس إلا أن علماء اللّغة وأصحاب المعاجم لم يجدوا تعريفا دقيقا لهذا التعبير ،مثلا الكلمات التالية (يعلموني.أ سيعلمونني. أ سيعلمونيها؟) هل هي جميعا من نفس النوع المستوى ؟ كما بحثوا عن أصغر وحدة لغوية ذات معنى و هذه الأمور هي التي حفزت العلماء علي البحث عن مفهوم آخر لأصغر وحدة لغوية ذات معنى يمكن أن تصلح لتحليل جميع اللّغات و أطلقوا عليها اسم المورفيم و قسموه إلى نوعين :المورفيم الحر Free Morphemeالذي لا يمكن استعماله بحرية كوحدة مستقلة في اللّغة (رجل.نام.إلى).المورفيم المقيدBoundMorpheme لا يمكن استخدامه منفردا بل يجب اتصاله بمورفيم مقيد آخر أو

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص223.

[2] - نفس المصدر السابق، ص224.

مورفيم حر (ان المثنى.ون الجمع ....)كما قسموا المورفيات المقيدة إلى نوعين منها ما يدخل في علم الإشتقاق Morphemes Derivationalمثل ما يطرأ على الفعل المجرد من تغييرات (قتل،قاتل)و منها ما يطرأ على الأفعال والأسماء و الصفات (ان،ون،ات)...

"**ثم استنبطوا القواعد التي تحكم طرق اتصال هذه المورفيمات و معنى كل منها و خاصة التي لا يمكن استخراجها من المعجم**"[1]. وقد تعرض المورفيم لنقد شديد لصعوبة تطبيقه على بعض اللّغات و حتى اللّغة الإنجليزية التي اخترع المورفيم نجد منها إلا أنه وعلى الرغم من ذلك لازال أداة مفيدة في التحليل الصرفي لبعض اللّغات.

فاللّغات مختلفة من حديث التركيب الداخلي الكلمات و طرق استخدامها للدلالة على مواقع الكلمات من الأعراب ،فبعض اللّغات تستخدم المورفيمات الحر فقط بينما يدل نظام الكلمات في الجملة على العلاقات النحوية و هناك لغات تستخدم مقاطع منفصلة تلحق. أواخر المورفيمات الحرة. و هناك لغات تستخدم عددا من المورفيمات المقيدة المتصلة لتكون جملة كاملة .و أخيرا توجد لغات معربة تعبر عن علاقات نحوية إما عن طريق الأصوات المنفردة أو المقاطع في أول المورفيم الحر أو في آخره أو عن طريق التعبيرات الداخلية في هيكل الكلمة أو عن طريق اثنتين منها.

أو كلها معاً .و هناك لغات لا تتبع كليا إحدى للأنواع الأربعة المذكورة لهذا واجه المورفيم صعوبات عند تطبيقه و هذا مثال من اللّغة العربية عن تطبيق المورفيم على جملة كاملة:

أ ستعلمونيها ؟ يمكن تقطيعها إلى المورفيمات التالية :

أ:معناه استفهام.

س : معناه الاستقبال.

ت: معناه المخاطب

علم المورفيم الحر أصل الفعل

ن: معناه الجمع ،وتشير أيضا إلى نوع الفاعل.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص226.

ي: و تعنى المتكلم في حالة المفعول به.

ها: تعنى الغائب المؤنث في حالة المفعول به أيضا.

لكننا نواجه. مشكلة في تطبيق المورفيم إذا حصل تعبير في الأصوات الداخلية للكلمة .مثل تحويل الفعل إلى صيغة المجهول مثل ضَربَ و ضُرِبَ لهذا أغلب الباحثين يستفيدون من هذا المفهوم لكن لا يعتمدون عليه كليا.

هناك أمر صرفي آخر "**عالجه العلماء المحدثون بطريقة تختلف عن الطريقة التقليدية يتعلق بأجزاء الكلام" parts of speech**[1] فالنحويون العرب قسموا الكلام إلى اسم و فعل و حرف و حاولوا تصنيف جميع مفردات العربية حسب هذا التقسيم الذي اعتمده كذلك قدماء اليونان ، غير أن الرومان.

ثم لغويو القرون الوسطى في أوروبا توسعوا في هذا التقسيم إلى أن وصلوا إلى ثمانية أقسام :الاسم ،الفعل،الضمير،الصفة،الظرف،حروف الجر و حروف العطف بالإضافة إلى الكلمات التي تعتبر عن العواطف المختلفة ،وقد استعملوا معايير ثلاثة لتقسيم الكلام إلى أجزاء هي :

المعيار الأول:المعنى. علاقة الكلمة بالعالم الخارجي.

المعيار الثاني : الشكل ،أي قبوله لحركات تدل على الحالة الإعرابية في أو معان صرفية أو نحوية مختلفة.

المعيار الثالث :موضوع الكلمة بالنسبة الكلمات الأخرى في الجملة.

لقد أصر أنصار المدرسة الوصفية التشكيلية على أبعاد المعنى من أي تحليل لغوي فاعتمدوا على المعيارين الثاني و الثالث كما تجنبوا استعمال التعابير :اسم،فعل،صفة.....و استبدلوها بالأرقام و من أشهر من قام بهذا العمل هو "**الأستاذ فريز من جامعة ميشيجان ،و كانت نتيجة دراسته أنه احتفظ بالأجزاء الرئيسية (الاسم ،الفعل،الصفة،الظرف) والأجزاء الأخرى قسمت إلى خمس**

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص229.

عشرة مجموعة أخرى بموجب المعيارين السابقين"[1] و هناك العديد من المدارس اللّغوية الحديثة التي عالجت الموضوع بطرق مختلفة إلا أن الاتجاه الحديث المتفق على مايلي:

أولا :لا يجوز تقسيم كلام لغة ما بناءا على تقسيم لغة أخرى، فقد أثرت طريقة تقسيم الكلام عند اليونان و الرومان على الأوروبيون بناءاً على الاعتقاد الذي كان سائدا بأن قواعد اللّغات جميعا واحدة الذي كان له أثر كذلك على اللّغويون العرب الذين قسموا الكلام حسب التقويم الذي أقامه قدماء اليونان (اسم،فعل،حرف) ولازال كذلك حتى الآن رغم محاولات المعاصرين من علماء العرب الإنعتاق من التقسيم التقليدي ،و من أفضل المحاولات ما قام به **د.حسن** في **كتابه اللّغة العربية –معناها و مبناها–** حيث توصل إلى سبع أجزاء للكلام العربي : الاسم ،الصفة، الضمير، الحالة، الظرف، الفعل، والأداة.

ثانياً: ليس من الضروري تشابه أجزاء الكلام في لغتين من حيث التصنيف أو العدد فكلمتي "قبل "و "بعد " تندرجان ضمن الظروف بينما مثيلاتها في اللّغة الإنجليزية تعتبر حروف جر.

ثالثا : المصطلحات الفنية (اسم ،فعل ....) التي تسمى بها أجزاء الكلام تستعمل كلها استعمالا عاديا فمثلا في اللّغة الإنجليزية كلمات (Mon,Verbe,Adverb) هي مصطلحات خاصة مستعملة في التحليل اللّغوي (تشبيه إلى حد ما مصطلحات في اللّغة العربية :مفعول لأجله ،تمييز .).

رابعا:إن الفصل بين أنظمة اللّغة يكون بقصد تسهيل الدراسة فقط،فكل أنظمة اللّغة مترابطة ارتباطا وثيقاً، حتى أن أحد معايير تعريف الكلام و هو موضع الكلام في الجملة معيار نحوي لأن هذا يؤثر في وظيفة الكلمة في الجملة. لذلك من الضروري الانتقال إلى بحث النظام النحوي للّغة.

ب– النظام النحوي :

يعتبر النظام النحوي قلب الأنظمة اللّغوية جميعا وواسطة العقد بينها فهو الذي يصل الأصوات بالمعاني ،و ما النظام الصرفي إلا وسيلة يستعملها النظام النحوي للتعبير عن المعاني الكلية، التي لا

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص230.

يحكمها الاعتبار أمور كثيرة ، بعضها لغوي صرفي ، و للبعض الآخر علاقة بالأساليب المختلفة في الخطاب ، وله علاقة بوظائف اللّغة المتعددة كما له علاقة بالمقام الذي يقال فيه الكلام.

لذا علينا أن نوسع بحثنا اللّغوي ليشمل النواحي الاجتماعية والنفسية و الحسية و هذا ما تحاول أحدث مدرسة لغوية تطبيقه إلا أنه لا يزال في بداية عهده.

"**و بالنظر لصعوبة البحث اللّغوي العلمي فقد اتخذت غالبية المدارس اللّغوية –منذ الربع الثاني القرن الحالي –الجملة الوحدة اللّغوية المناسبة للدراسة ولم تتعداه**".[1]

أما مفهوم الجملة فليس واضحا كما يتبادر الذهن .فإذا صنفنا الكلام إلى جمل بناءاً على معيار "المعنى "فإن علينا ألا نعتمد على الشكل الخارجي ف بل نلجأ لطرق أخرى لتبرير تصنيفنا.

و إحدى الطرق التي يمكن استخدامها في الوصف و التحليل هي البحث عن تعريف للجملة ثم إخضاع دراستنا لهذا التعريف و تقييدها به.لكن هذه الطريقة غير سليمة لأن للجملة تعريفات متعددة تقيد البحث ولا تساعده.

وقد أشرنا في الموضع سابق إلى المدرسة الوصفية التشكيلية للتي كانت ردة فعل للدراسات التقليدية و قد تأثر أنصارها بالمدرسة السلوكية التي اقتصرت دراستها على ظاهر الأشياء فقط ،و تميزت ب :

أولها :تحليل كل نظام بمعزل عن الآخر.

ثانياً: استعاد المعنى التحليل اللّغوي لا يمكنهم بعد إمكانية إخضاع المعنى للدراسة الوصفية العلمية و الدقيقة التي تخضع لها باقي الأنظمة.

ثالثا:استخدام أساليب أكثر وضوحا و دقة من سابقها ، فقد اتبعوا منهجا لتحليل الجمل يدعى "التحليل المكونات المباشرة ."Immédiate constitution analyse الذي يمكن من تحليل الجملة على أساس أنها مؤلفة من طبقات إلى أن يتم تحليلها إلى عناصر أولية من كلمات أو مورفيات .و كان هذا وسيلة لمعرفة العلاقة بين الكلمات مثلا جملة

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص233.

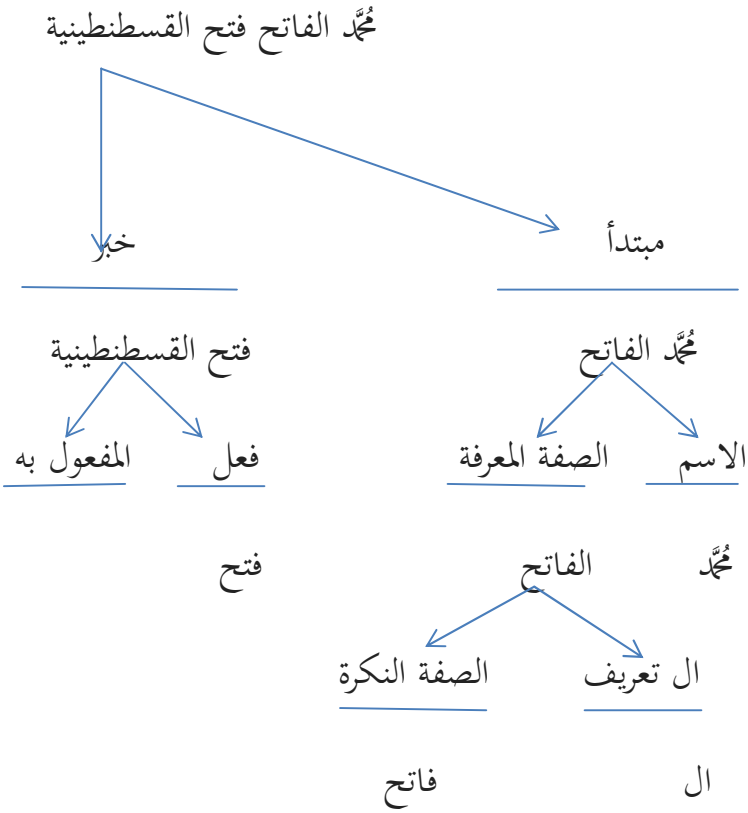

"**و قد أستخدم هذا المنهج لا لتصنيف أجزاء الكلام فحسب بل لتصنيف أنواع نماذج الجمل الأساسية الموجودة في اللّغة الإنجليزية و يمكن تطبيقه كذلك على اللّغة العربية خرجنا بنماذج للجملة الاسمية**" [1]مثلا منها:

-اسم معرفة +اسم نكرة (علي طبيب).

-اسم معرفة + صفة نكرة (زيد مريض).

-اسم معرفة +ظرف (سمير تحت الشجرة).

وغيرها من النماذج.

و نقصد بالجملة الأساسية تلك الجملة الخالية من الزوائد كالصفات مثلا فيمكننا إطالة الجملة إلى ما النهاية من كلا الطرفين باستعمال الزوائد.

وقد أشرنا إلي أن أنصار هذه المدرسة لم يهتموا بتحديد العلاقات بين عناصر الجملة ،وقد فطن إلى هذه النقطة المتأخرون أمثال بايك و أدخلوا عنصر الوظيفة اللّغوية في منهجهم التحليلي و جمعوا بين

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص237.

جزء الكلام ووظيفته في الجملة ، و قسموا الجملة إلى إطارات ، و على الرغم من التعديلات التي أجريت على منهج هذه المدرسة إلا أن علماء اللّغة المعاصرين مقتنعون بعدم جدوى هذا المنهج في التحليل اللّغوي للأسباب التالية:

أولا: لا يمكن تطبيق المنهج على جميع أنواع الجمل أو الأجزاء الرئيسية للجمل ،فهذا المنهج ليس إلا منهجا بدائيا التصنيف.

ثانيا: المنهج غير كاف لفهم التراكيب اللّغوية و تفسير عدد كبير من العلاقات اللّغوية خاصة العلاقات بين الجمل مثلا: لو أخذنا جملتين الفعل في إحداهما مبنى للمعلوم بينما الفعل في الثانية مبنى للمجهول فإن أقصى ما يمكن لهذا المنهج فعله هو تحليل كل جملة على حده دون الإشارة إلى العلاقة بينهما ، لهذا فإن هذا المنهج لا يمكنه تزويدنا بالقواعد اللازمة لتحويل جملتين مترابطتين واحدة إلى الأخرى ،فاللّغة عبارة عن علاقات مختلفة و منهج من هذا النوع يبدو ساذجا إذا تأملنا أن يزودنا بتفسيرات مناسبة لتلك العلاقات.

"**وقد ذكرنا أن المدرسة الوصفية التشكيلية استبعدت المعنى من دراستها و ذلك ليس إخضاع المعنى العلمي فقط بل لأن المعنى في رأي أتباع هذه المدرسة هو المقال الذي يقال فيه الكلام و الاستجابة التي يستدعيها من المستمع** "[1] مما يجعل تحليله علميا أمرا بالغ الصعوبة وقد كان استبعاد المعنى ردة فعل القواعد التقليدية التي استخدمته استخداما سيئا في التحليل اللّغوي.

وقد أشرنا إلى ضرورة إدخال المعاني كجزء أساسي من الدراسات اللّغوية شرط إخضاعها للمنهج العلمي الصارم و ذلك لشرح العلاقة بين الجمل التي تحمل نفس المعنى بينما تختلف تراكيبها الخارجية. وهذا مهم أيضا عند محاولة تحليل بعض الجمل الغامضة نحو". **هذه إحدى نكات مطاعم لندن القديمة** "، فكلمة القديمة ممكن أن تكون صفة لإحدى النكات أو المطاعم ، و هذا يعطينا معنيين لنفس الجملة.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص240.

إنه منهج أثبت جدارته في الكشف عن قواعد بعض اللّغات التي لم تكن لها قواعد معروفة كلغة الهنود الحمر في أمريكا . و لكنه ليس قادرا على الكشف عن قواعد لغات معروفة و مكتوبة جرت عليها دراسات كثيرة كاللّغات الحديثة .فهو ليس نظرية لغوية متكاملة.

إلى أن تم التخلي تدريجيا ثم نهائيا عن هذا المنهج حيث قام تشومسكي بإستبداله بنظرية أكثر عمقا و شمولا من خلال كتابه "التراكيب النحوية" structure syntactic

1957 ثم كتاب أوجه النظرية النحوية .aspects of the theory of sytos

.1965و ينبغي الإشارة إلى أن تشومسكي لم يكن ليصل إلى تلك النظرية لو لم يتمرس تمرساً كاملا بالمنهج العلمي . وقد تطورت هذه النظرية على يدي تشومسكي و عدد من تلاميذه و مساعديه و انبثقت عنها فروع متعددة ، ولا بد من توضيح بعض المصطلحات الفنية التي استعملها تشومسكي بمعان مختلفة عن المعهود ، فهو يعتبر موقع النحو من اللّغة بمثابة القلب من جسم الإنسان ، أما كلمة القواعدgrammarفتشمل النحو و الصرف والنظام والصوتي و نظام المعاني كذلك.

"و أهم ما قدمه تشومسكي في نظريته اللّغوية هو الدقة و الوضوح المتناهيان اللذين استعملهما في القواعد التي حاول أن يجعلها مماثلة للقوانين الرياضية التي تأثر بها"[1].

وأفضل ما يبدأ به البحث في نظرية تشومسكي اللّغوية التي أصبحت تدعى" القواعد التحويلية التوليديةtransformtional generative Grammar، هو أن نبحث عن الهدف الذي وضعه لعلم قواعد اللّغة التي عرّفها بأنها " وسيلة لتوليد جميع الجمل الصحيحة لغة معينة ولا جمل غير تلك الجمل الصحيحة أي المتمشية مع القواعد ".و ما يلفت النظر في هذا التعريف أمور.

الأمر الأول :هذا المنهج موجه للجملة بشكل رئيسي على اعتبار أنها الوحدة اللّغوية الأساسية ،أما أشباه الجمل الفرعية phrases and clauses فهي تبحث ضمن نطاق مفهوم الجملة.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص243.

الأمر الثاني: الإصرار على قدرة القواعد على توليد الجمل الصحيحة فقط و هنا يبدو أن هناك شبهاً بين هذه القواعد التقليدية لكن الفرق شاسع بينهما ، فالقواعد التقليدية معيارية تفرض الصواب و الخطأ بالنسبة للكلام الفعلي ، لكن القواعد الجديدة لا هي معيارية ولا وصفية ،بل هي قواعد للجملة على أساس أنها شكل تجريدي نظري.

الأمر الثالث:يتعلق بالتعبير فالقواعد يجب أن تكون قادرة على توليد جميع الجمل الممكنة في اللّغة ، وبما أن عدد الجمل التي يمكن توليدها غير محدود في أي لغة مقارنة بعدد القواعد المحدود لابد من وجود نوع من القواعد المتكررة Recursiverules من تلك القواعد مثلا :الصفات لا يمكن أن تتبع الاسم ،فعدد الصفات لا نهائي.

أما بالنسبة المعنى فقد ذكرنا سابقا أن المدرسة الوصفية التشكيلية استبعدت المعاني ثم جاءت نظرية تشومسكي فأعطته مكانا ثانويا في دراساتها ،إلا أن تطورت على يد زملائه وتلامذته فأصبح المعنى جزء رئيسي من تلك النظرية، وقد وردت أول إشارة إلى حتمية استعمال المعاني في التحليل اللّغوي في أول مجموعة من القواعد التي سميت قواعد التحليل النحوي الأولى Phrase structure rules ،وهذه القواعد لا تختلف كثيرا عن طريقة تحليل المدرسة السابقة للجملة إلا من حيث التعقيد الدقيق بطريقة التحليل فمثلا نحلل جملة " الرجل ضرب الولد "بالشكل التالي:

-القاعدة رقم 01:الجملة مبتدأ+خبر.

-القاعدة رقم02:المبتدأ ال+اسم.

-القاعدة رقم 03:الخبر فعل+اسم

-القاعدة رقم 04:ال التعريف.

المفردات :الاسم:الرجل،الولد.

-الفعل:ضرب.

"**من مميزات الطريقة ترتيب و تنظيم الخطوات التحليلية و ربطها معا باعتماد كل خطوة على الخطوة السابقة لها كما تعطينا صورة واضحة عن التركيب الهرمي للجملة**"[1]، فبواسطة هذه القواعد البسيطة و بواسطة عدد من الكلمات لا يزيد عن خمس نستطيع تركيب أكثر من جملة ، و هذه صفة من صفات القواعد اللّغوية،الخلق أو التوليد ، كما يمكننا عن طريق هذه القواعد التواصل للبنية الداخلية أو العميقة للجملة التي تتألف من:

ال+اسم+فعل+فعل+إسم .وهذه الفكرة ليس جديدة تماما ،إلا أنه لم يسبق لأحد أن قام بتوظيفها ووضع قواعدها قبل تشومسكي.

و تقول هذه المدرسة بوجوب إفتراض و إيجاد مجموعة أخرى من القواعد نستطيع بواسطتها تحويل المعلوم مجهول، أو الإخبار للاستفهام أو النفي باستخدام نفس العناصر الأولية المتوفرة في البنية الداخلية مادام المعنى الأساسي واحدا ،وقد توصلوا إلى هذه القواعد و سموها ب " القواعد التحويلية " rules transformtionalو هي المجموعة الثانية من حيث ترتيب التطبيق.

لدينا جملة "الأولاد يلعبون الكرة."

تطبيق المجموعة الأولى : (ال +ولد +مذكر+ جمع+ المعلومات)+(لعب+ مصارع +جمع +غائب)+(ال+ كرة+ مفرد).

لكي تتحول هذه العناصر إلى جملة فعلية تحتمل أصوات وأشكال صرفية لابد من المجموعة الثالثة من الصوتية التي تحولها إلى الشكل التالي :

ال +ولد+ مذكر+ جمع الأولاد.

لعب+ مصارع +مذكر +جمع غائب يلعبون

ال+ كرة+ مفرد الكرة.

فتصبح جملة نهائية بعد تطبيق قواعد نحوية معينة

العناصر الأولى للجملة

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص245.

القواعد النحوية الأولية

القواعد التحويلية

القواعد الصرفية الصوتية

الشكل الصوتي النهائي للجملة

وقد عدلت هذه والنظرية و ادخل عنصر المعنى كعنصر أساسي و أصبحت طريقة التحليل:

وقد عدلت هذه النظرية وأدخل عنصر المعنى كعنصر أساسي وأصبحت طريقة التحليل :

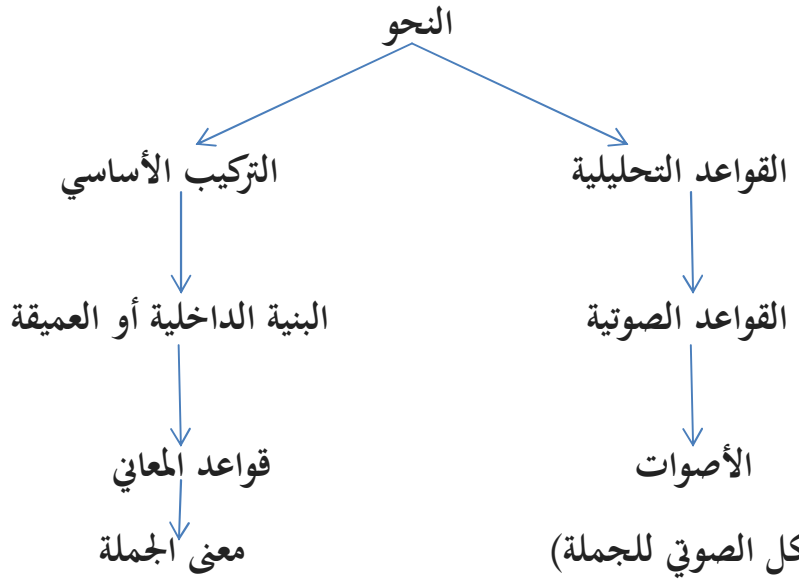

وهكذا تصبح العلاقة الداخلية بين البنية الداخلية والمعنى والشكل الصوتي وكذا وظيفة كل نظام أكثر وضوحا.

"فالنظام النحوي يزودنا بالمعلومات عن تركيب الجملة الأساسي والعميق والقواعد التحويلية تزودنا بمعلومات عن الشكل الخارجي للجملة أما النظام الصوتي فيزودنا بالمعلومات عن طريق نطق الجملة بينما نظام المعاني يدل على معنى تلك الجملة"[1]. وأهم ما وصلت إليه هذه المدرسة هو محاولة وضع المفهوم القديم في صورة علمية دقيقة تكاد تبلغ الرياضيات من حيث الدقة والوضوح.

[1] د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص27.

وتأثر بالمنهج العلمي الرياضي الدقيق الذي بدأه تشوميسكي قام بعض الزملاء أمثال كاتسوفوردر Katz and Fordor بإكمال جانب المعنى وقد قدم غيرهم نظريات جديدة نذكر منها مايلي :

قال مكولي : Mc Cawly بإمكانية ربط المعنى مباشرة بالبنية النحوية الأساسية للجملة دون إفتراض البنية الداخلية التي جعلها تشوميسكي خطوة متوسطة بين التركيب والمعنى و إمتدت نظرية مكولي لتشمل الفونيم والقواعد الخاصة لهذا النظام الصوتي فقد قام مكولي بإختصار خطوات التحليل اللغوي وربط التركيب النحوي للجملة مباشرة بالمعنى من جهة وأصوات اللغة من جهة أخرى.

وقد كان لمكولي مقالتين كما لها أثر كبير على الدراسات اللغوية إلى الآن فأعاد العلماء النظر في نظرية تشوميسكي وحاولوا تعديلها بنظريات أقل تعقيدا ولعل أهم هذه النظريات نظرية العالم فلمور Charles filmore كتعديل جذري لنظرية تشومسكي وقد كان لها أثر على التفكير اللغوي المعاصر التي سميت قواعد الحالة الإعرابية Case Grammar وهنا لا يقصد التغيرات الصرفية التي تطرأ على الاسم في حال وقعه فعلا أو مفعول به. بل يقصد مجموعة المفاهيم التي تمكن الإنسان من إصدار أحكام مختلفة عما يدور حوله من أحداث كمعرفة من يقوم بعمل ما. ومن يقع عليه حدث ما، ويعطي فلمور مثالا على جمل يشعر الإنسان أنها متشابهة في المعنى رغم اختلاف تركيبها الخارجي مثل : "فتح علي الباب"، و"انفتح الباب على يد علي" .

يعتقد فلمور أن العلاقات المعنوية الأساسية في الجمل تكون نظاما عاما ينطبق على جميع اللغات الإنجليزية مثلا أو يتبعه كما في اللغة العربية مثلا، وهذه نقطة خلاف بين نظرية فلمور وبين النظريات الأخرى كنظرية تشوميسكي التي تفترض وجود بنية عميقة لكل جملة، كما أن العلاقات التي يفترضها فلمور أعمق من تلك التي أبرزها تشومسكي، ففلمور يضع المعاني في التحليل اللغوي، ثم تتحول بواسطة قواعد نحوية، صرفية تحويلية وصوتية إلى الشكل الخارجي الظاهر للجمل بعد أن كانت الدراسات تبدأ بالصوت مرورا بالنظام الصرفي النحوي وصولا إلى المعاني .

الفصل الثاني:

دراسة وتحليل

تمهيد

قبل البدء في دراسة الكتاب يجدر بنا أولاً الإشارة إلى أن كتاب " أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة" للدكتور نايف خرما يعتبر كنزاً للباحثين خاصة و للقراء عامة، حول موضوع اللغة و ما يتعلق بها من دراسات و بحوث و مدارس، و حتى المحاولات التي قام بها علماء اللغة و الباحثون منذ القدم إلى عصرنا الحالي، فالدكتور لم يقتصر على الإشارة إلى الدراسات في فترة زمنية محددة بل تطرّق إلى الدراسات اللغوية من القديمة إلى المعاصرة مروراً بالحديثة، فقد قام بالدراسة والبحث والتحليل تارة و بالمقارنة بين الدراسات و مناهجها تارة أخرى، و هذا يدلّنا أنه استخدم المنهج التاريخي الذي ساعده على تتبع الأبحاث اللغوية منذ القدم، و الاطلاع على التغييرات و التطورات التي طرأت على مناهج البحث اللغوي و موضوعاته و كذلك صعوباته و نقده، كما أنه قد بحث في كثير من الموضوعات اللغوية الهامّة التي درس جزئياتها بكل دقة و وضوح و أسلوب علمي منتظم، و ما ساعده على ذلك هو المنهج التحليلي الذي يمكن الباحث من دراسة أي موضوع بشكل دقيق بكل جزئياته، كما قد استخدم في تحليله أسلوب سهل واضح مباشر يخلو من التكليف، و بالرغم من استعماله أحيانا لبعض المصطلحات الفنية إلا أنه شرحها بأسلوب سهل واضح ييسّر فهمها على القارئ ، فكتابه ليس موجّهاً لعلماء اللغة والباحثين المختصين، بل هو موجه للطلاب و للقراء عموماً ، فهو عبارة عن أسئلة تثار في أذهان الطلاب و قد حاول الدكتور الإجابة عنها بأسلوب علمي، غير أن الكتاب لا يحتوي إجابات على كل الأسئلة . و نلحظ أيضا بروز ظاهرة التكرار في أسلوب الكاتب الذي كان يجد نفسه مجبرا على إعادة بعض النقاط المهمة التي سبق التطرق لها و ذلك بهدف ترسيخها في ذهن القارئ و حفظها نظرا لأهميتها لكل القراء، طالبا كان أم عالما لغويا أم باحثا، و كذلك برزت خاصية التلخيص التي كان يستخدمها بعد دراسته لموضوع ما كموجز لما سبق التطرق إليه ، و هذا ما يكون عادة في نهاية كل فصل ، إضافة إلى وجود بعض الأخطاء عند طباعة الكتاب، و قد قسّم كتابه إلى خمسة فصول في كل فصل مجموعة من الموضوعات اللغوية المدروسة في أزمنة و أمكنة مختلفة ، يحتوي الكتاب 279 صفحة و قد نشر في يناير 1978. أما بالنسبة

للمراجع التي اعتمدها فهو لم يوظف الكثير من الكتب إلا أن غالبيتها أجنبية . و قد وضع فهرس لمراجع في نهاية كل فصل .

1. لغة الحيوان:

من بين عدّة مواضيع مهمة طرحها الدكتور **نايف خرما** في كتابه نجد موضوع "لغة الحيوان" في الفصل الثالث. الذي تحدث عنه بإسهاب فقال أن الإنسان في تواصله مع الآخرين يستعمل وسائل اتصال مختلفة منها الجهاز السمعي و الجهاز النطقي و كذا الإشارات و الحواس و غيرها ... و هي الوسائل التي تستعملها بعض الكائنات الحية الأخرى التي تستخدم التصويت في معظم الأحيان للدلالة على معاني مباشرة بسيطة تتعلق بالمشاعر غالباً ، إلا أن هناك بعض الحيوانات تستطيع التركيب من وسائل الاتصال غير الصوتية و هذه الأصوات المفردة جملا تعبّر عن معنى مركب لا تستطيع الأصوات المفردة التعبير عنه . و تم التوصل إلى هذه التراكيب و تحديد معانيها .و قد أثبت بعض العلماء أن القرد يعبرّ عن التهديد بصوت معين مقرون بحركات جسمية و هذا يدل على أن استعمال التصويت و الحواس و حركات الجسد لا يقتصر على الإنسان فقط. و أجريت تجارب عديدة مختلفة و مستمرة لمعرفة مدى إمكانية الحيوانات على تكوين تراكيب أخرى تتناسب مع ظروف جديدة و توصلت إلى أن الحيوان لا يمتلك تلك القدرة على الخلق و الإبداع عكس الإنسان الذي يستطيع تكوين جمل و تراكيب كثيرة غير محدودة لم يسمعها من قبل و ذلك من عدد محدود من الألفاظ في مواقف جديدة . و هنا تكمن نقطة اختلاف بين لغة الإنسان و لغة الحيوان . كما لوحظ أيضا أن أصوات المفردات في لغة الحيوان لها علاقة مباشرة بالرسالة المقصود إيصالها ماعدا بعض الإشارات التي لا علاقة لها بالمعنى . و على سبيل المثال لا الحصر هناك بعض الطيور التي تتعرض للهجوم فتعبّر عن التهديد بنزع العشب من الأرض و كأنها ستبني عشّاً . و على الرغم من عدم وجود علاقة بين الحركة و المعنى إلا أن الطير المهاجم يفهم معناها. و في نفس الصدد أجريت العديد من التجارب التي قسّمت اكتساب اللغة عند الحيوانات فتوصّلت إلى أنّ بعضها وراثية كليّا ، و بعضها الآخر جزء منه موروث و جزء مكتسب، بينما الصنف الثالث فلغته كلها مكتسبة، و هذا

مظهر آخر للاختلاف بين اللغتين ،فالإنسان يولد باستعداد بيولوجي فطري لاكتساب اللغة التي تستلزم وجوده وسط محيط اجتماعي. فالدور الأكبر للعامل الاجتماعي في اكتساب اللغة البشرية، أما لغة الحيوان فتعتمد على عامل الوراثة أحيانا و عامل الاكتساب أحيانا أخرى. فالدكتور نايف خرما عقد مقارنة للكشف عن مواطن الاختلاف بين كل من اللغتين و كانت دراسته مبنية على تجارب و دراسات متعددة قام بها باحثون متخصصون .

و في نفس الصدد تحدث الدكتور **عبد الواحد وافي** في الفصل الثاني من كتابه " **نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل**" فيقول أنّ كلا من لغة الإنسان و لغة الحيوان تشتركان في التعبير الطبيعي عن الانفعالات وساءا كان التعبير سمعيا أو بصريّاً و عن حاجاته النفسية أو الجسمية كالخوف أو الجوع أو الحزن....و غيرها من الانفعالات، و هذه الحركات بعضها "**يصل عن طريق البصر، كاتساع حدقة العين و ضيقها، و بسط الأذن و خفضها، و التكشير عن الناب و وقوف الشعر، و انتفاخ الجسم والأوداج و الهرب و الاختفاء..**"[1].و غير ذلك الكثير . و بعضها يتمثل في صوت يصل للأذن " **كرغاء الناقة وبغامها، و صهيل الفرس و قبعه[2] عند نفوره من شيء، و حمحمته عند الجوع أو الاستئناس و شحيح البغل...**"[3]

كما تشترك بعض فصائل الحيوان مع الإنسان في التعبير بالإشارات خاصة الحيوانات التي تعيش وسط مجموعات كالنحل و النمل و القردة و غيرها... فالأيل مثلا يستخدم رأسه و قرونه أثناء قيادته للقطيع علامة على الوقوف تارة و على السير تارة أخرى . كما تستخدم بعض الكلاب أو القطط إشارات تخاطب بها الإنسان كخدشها الباب ليفتحوا لها أو دفع إناء الطعام تعبيرا عن حاجتها للغذاء. و منها أيضا ما توصل إليه **كوهلر kohler** من أن الشمبانزي حين يودّ أن يرافقه أحد في طريقه فإنه "**يحنك به بخفة و يجذبه من ذراعه محدقا فيه و متقدما بضع خطوات في الطريق التي**

[1] -عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل،دار الفكر العربي، مكتبة الجامعة الأمريكية، القاهرة، ط01، ص14.

[2] –صوت يردده الفرس من منخره إلى حلقه عند نفوره من شيء.

[3] – نفس المصدر السابق.

يود أن يسلكاها معا"[1] .كما اتفق كثير من الباحثين على هذا الرأي منهم **كيربي** .**kirby** و **سبنسر spenser**و **بورميستر burmeister**و **فرانكلين franklin** فقد وجدوا أن "**كثيرا من طوائف النحل و النمل يستخدم أفرادها إشارات مقصودة للتعبير بها عن شؤونها و أن هذه الإشارات تتمثل في احتكاك بعض أطراف المتكلم أو أطرافه أو ذؤاباته بجزء من جسم المخاطب بطريقة خاصة و قام الباحث لوبوك lubbuck بطائفة كبيرة من التجارب بهذا الصدد فتبين له صدق ما وصل إليه هؤلاء الأساتذة**"[2]. أما التعبير المركب فيقول الدكتور أن هذا النوع من التعابير خاص بالإنسان فقط بالرغم من أن هناك بعض طوائف الحيوانات تصدر عنها أصوات شبيهة بهذا النوع من التعابير لكن بالتدقيق فيها نجد أنها خالية من خصائص اللغة و إحدى هذه الخصائص أنها أصوات موضوعة للتعبير عن معان لا انفعالات .كما أنه قد أشار إلى نقطة لم يتطرق لها الدكتور نايف خرما فقال : "**هناك أصوات مركبة ذات مقاطع تلفظها بعض الطيور كالببغاء و ما إليها من الفصائل التي امتازت أعضاء صوتها بخصائص طبيعية تتيح لها إخراج هذا النوع**"[3] ،و يتبع قائلا أن هذه الأصوات تشبه اللغة الصوتية في شكلها الظاهر فقط فالطائر لا يقصد بهذه الأصوات التعبير أو التواصل.. الخ فهذه الأصوات إما تصدر عن غير قصد . بشكل آلي مثل الضحك و البكاء.. الخ و إما تكون محاكاة لصوت إنساني سمعه الطائر فهو إذا لا يقصد التعبير . كما قد يحدث أن تسمع الببغاء صوتا فتكرره في المواقف المشابهة مثل سماع شخص ينادي طفلا باسم ما فتكرر الاسم كلما رأت هذا الطفل .

أي أن الدكتور علي عبد الواحد وافي يقيم مقارنة للكشف عن أوجه الشبه بين اللغتين البشرية والحيوانية على عكس د. نايف خرما الذي ركز على أوجه الاختلاف. و قد توصّل في الأخير إلى أن الإنسان لا يمتاز عن بقية الفصائل الحيوانية باللغة صوتية فحسب بل يتميز كذلك بالمراكز المخية التي

---

[1]. انظر. كوهلر .ذكاء الفصائل العليا من القردة . ص294..kohler.intellegence des singes superieurs

[2]. انظر ريبو . تطور المعاني الكلية ص 66.67.

[3]. د. علي عبد الواحد وافي. نشأة اللغة عند الانسان و الطفل.مكتبة الجامعة الأمريكية. القاهرة.الطبعة الأولى. ص19.

تشرف على مختلف مظاهر اللغة . فقد ثبت أن هذه المراكز لا يوجد لها نظير في مخ أي فصيلة حيوانية . حتى الفصائل العليا من القردة نفسها.

2.هل اللغة طبع أم تطبع؟

و من المواضيع المهمة الأخرى التي تطرق لها الدكتور نايف خرما في الفصل الثالث من كتابه هو موضوع أصل اللغة و طبيعتها . فبالرغم من أن " **الأبحاث عن أصول اللغة لم تعد مجدية . مع ذلك ظلت تشكل موضوعاّ قديماّ جداّ في الدراسات و الافتراضات المتتالية دورياّ . و بحثها الفلاسفة مثلما أثارها اللغويون و أثارها الفقهاء و التفت إليها علماء النفس و الاجتماع و الأجناس و بقي الجدل حولها إلى غاية القرن التاسع عشر. إلى درجة أن الجمعية اللغوية في باغريس قررت سنة 1886 رفض أي مقالة حول هذا الموضوع الذي كان يبدو لها معا انه قيل فيه كل شيء**"[1].

أما طبيعة النشاط اللغوي " **فمعرفتنا بها سيئة و اما أصلها فسيبقى دائما أعجوبة و لن يكون سهل البلوغ إلا عن طريق الأساطير و بكلمة واحدة لا نعرف متى بدا الناس يتكلمون. ولا كيف؟ و كل مانستطيعه ان نحاول وصف اشتغال الألسنة الطبيعية و الاحاطة من هنا بالمميزات الشاملة للغة و صيانة فرضيات حول العمليات الملغوزة التي جعلت المخ الانساني يعمل من أجل أن يتاح لنا أن نتكلم**"[2] . و بما أن كتب "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة" كتب على شكل تساؤلات يتم البحث فيها لإيجاد أجوبة لها عن طريق البحوث و التجارب لذا فقد طرح الدكتور سؤال مهم عن أصل اللغة فقال هل هي طبع (أي غريزية) أم تطبع (أي مكتسبة) ؟ و مع أنه تساؤل قديم إلا أنه لم يتم البحث فيه بمنهج علمي حتى النصف الثاني من القرن الحالي. "**فقد أثبت اكتشاف عدد من الحالات (و كانت حالة أو اثنتان منها في الشرق الأوسط) أن الفرد الذي يعيش منذ**

[1]- د. عبد الجليل مرتاض. الراهن و المأمول.. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر 2009 ص 705

[2]- marinaya guello. Pour comprondre la linguistique. P 15

ولادته أو طفولته المبكرة جدا بمعزل عن المجتمع البشري يبقى بدون لغة أو يكتسب لغة الحيوانات التي يعيش بينها"[1]. كما أثبتت نفس التجارب أن الإنسان كلما كبر في السن كلما واجه صعوبات في اكتساب اللغة حتى يصل إلى المرحلة العمرية التي قدّرها المتخصصون ب ما بين الثانية عشر و الرابعة عشر التي لا يستطيع بعدها اكتساب أي لغة .فالطفل لا يولد مزودا بلغة معينة و لا باستعداد لتعلم لغة معينة بالذات .بل يصدر أصواتا كالمناغاة مثلا تدل على استعداده لاكتساب أي لغة بشرية. وكان رأي الباحثين أن الطفل يتعلم لغة المجتمع الذي يعيش فيه عن طريق الاستماع و المحاكاة و أثبت علماء معاصرون أن الطفل لديه أكثر من استعداد فطري لاكتساب اللغة بل لديه قدرات عقلية و عصبية و بيولوجية تمكنه من اكتساب اللغة بتلك السرعة المذهلة . كما نفوا دور الذكاء والتدريب في اكتساب الطفل للغة . و يقول الدكتور كخلاصة أن اللغة لا هي طبع كامل ولا تطبع كامل بل هي حصيلة بين الاثنين وتطرق كذلك إلى نظرية تشومسكي التي تقول أن الطفل يكتسب اللغة بكفاءة و سرعة بالغتين لأن لديه معرفة فطرية بالأسس العامة التي تقوم عليها جميع لغات الأرض و التي تشمل فكرة البنية الداخلية و البنية الخارجية لكل تركيب لغوي .

كما نجد عدة باحثين و لغوين تطرقوا لنفس الموضوع و ذلك لأهميته البالغة في الدراسات اللغوية على اختلاف أزمنتها, و من هؤلاء **محمود جاب الرب** الذي تطرق للتفكير اللغوي عند الأمم القديمة منها اليونان التي امتازت بالفلسفة التي كان لها أثر في الدراسات اللغوية منذ القدم, فنجد مثلا **أفلاطون** الذي اعتبر "**أن اللغة إلهام و موهبة نشأت مع الإنسان و من ثم ينبغي أن يدور البحث حول الألفاظ الأولى في اللغات المختلفة, لأنها تمثل هذه الموهبة الفطرية في أكثر أطوارها بكورا**"[2]. أي أن أفلاطون يرى أن اللغة موهبة فطرية تولد مع الطفل "**ومما يستشف ولو من بعيد من رؤية أفلاطون أن اللغة توقيف لا اصطلاح, و لكنه يخضعا إلى نظرية المثل, فالنموذج المقيس عليه**

[1]. د.نايف خرما. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. منشورات عالم المعرفة .1978. ص 127.

[2]– د.محمود جاب الرب. علم اللغة نشأته وتطوره, دار المعارف.ط1 سنة 1985.ص07.

ثابت لا يتغير"[1]. غير أن تلميذه **آرسطو** خالفه الرأي قائلا "**أن اللغة ليست إلهاما من الله أو موهبة إنسانية, بل نظاما لفظيا محددا نشأ نتيجة اتفاق بين أفراد جماعة بعينها"**[2] أي أنه يقول بأن اللغة اصطلاحية تواضعية . كما تعرض **عبد الجليل مرتاض** لرأي **ابن فارس** في الموضوع الذي كان يوافق أفلاطون في قوله بأن اللغة توقيفية انطلاقا من الآية الكريمة : **"وعلّم آدم الأسماء كلّها"**[3]. محيلا على ابن عباس الذي كان يقول :"**علّمه الأسماء كلها, و هي الأسماء التي يتعارفها الناس من دابّة وأرض و سهل و جبل و جمل و حمار و أشباه ذلك من الأمم وغيرها"**[4].وقد سئل **ابن جني** كذلك عن نفس الموضوع فقال أن أكثر أهل النظر قالوا أن أصل اللغة هو التواضع و الاصطلاح غير ابن فارس الذي قال أنها من عند الله محتجا بالآية الكريمة المذكورة سابقا "**غير أنه يجوز أن يكون تأويله, أقدر آدم على أن تواضع عليها و هذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة"**[5] غير أنه فسّر هذا بأن قال:"**إن الله سبحانه علّم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية, والفارسية, و السريانية, و العبرانية, و الرومية و غير ذلك من سائر اللغات, فكان آدم وولده يتكلمون بها, ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا, و علق كل منهم بلغة من تلك اللغات , فغلبت عليه, و اضمحل عنه ما سواها لبعد عهدهم بها"**[6].

فقد نفى ابن جني كون اللغة توقيفية فطرية إلا أن بعد حل و عقد و مد و جزر قوي في نفسه الاعتقاد بكون أصل اللغة توقيفا من الله سبحانه فقال"**و اعلم فيما بعد, أنني على تقادم الوقت, دائم التنقير و البحث عن هذا الموضع فأجد الدواعي و الخوالج قوية التجاذب لي ...وذلك أني تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة.وجدت فيها من الحكمة و الدقة, والإرهاف و**

[1]- عبد الجليل مرتاض, اللغة بين الوضع و الاعتباط , دار الأمل, ط2015, ص07.

[2]- د.محمود جاب الرب. علم اللغة نشأته وتطوره, دار المعارف.ط1 سنة 1985.ص08.

[3]- القرآن الكريم, سورة البقرة, الآية31.

[4]- ابن فارس, الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها.مؤسسة بدران. بيروت. ط1963. ص 31.

[5]- عبد الجليل مرتاض, اللغة بين الوضع و الاعتباط , دار الأمل, ط2015, ص13.

[6]- أبو الفتح عثمان بن جني, الخصائص, دار الهدى . بيروت ج1 , ص 41-42.

الرقة ما يملك علي جانب الفكر, ...فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه و أنها وحي"[1].

و نجد رأي **أبي حامد الغزالي** (505هـ) الذي يقول في نفس الموضوع: "**قال قائلون: اللغات كلها اصطلاحية، إذ التوقيف يثبت بقول الرسول، ولا يفهم قوله دون ثبوت اللغة، وقال آخرون : هي توقيفية، إذا الاصطلاح يعرض بعد دعاء البعض البعض بالاصطلاح..وقال آخرون: قصد التواضع توقيفي دون ما عداه، و نحن نجوّز كونها اصطلاحية بأن يحرك الله رأس واحد فيفهم آخر قصد الاصطلاح، و يجوز كونها توقيفية بأن يثبت الرب تعالى مراسم و خطوط يفهم الناظر فيها العبارات ثم يتعلم البعض عن البعض...و نحن نرى الصبي يتكلّم بكلمة أبويه و يفهم ذلك من قرائن أحوالها في حالة صغره ، فإذن الكل جائز و أما وقوع أحد الجائزين فلا يستدرك بالعقل ، و لا دليل في السمع في قوله تعالى : "و علّم آدم الأسماء كلها" ظاهر في كونها توقيفيا، و ليس بقاطع و يحتمل كونها مصطلحا عليها من خلق الله تعالى قبل آدم"**[2].

ثم إن الدكتور نايف خرما لم يعرض الآراء السابقة وذلك نظرا لأنه خصص كتابه للدراسات اللغوية المعاصرة و لآراء اللغويون المعاصرون اللذين درسوا كل من الموضوعات السابقة بأسلوب علمي دقيق لا يترك مجالا للتأويلات و التخمينات ، أما هذه الآراء فتدخل ضمن نطاق الدراسات القديمة أو الحديثة، و من جهة أخرى فإن "**كل مزيد من عرض لآراء و نظريات عربية لا يعدّ إلا حشوا ومضيعة للوقت لأنها مهما تباينت مصادر وأزمنة وأماكن وميادين علمية، فإنها تكاد تسبح في الفلك نفسه، و ليس هذا انتقاصا من هذه الأفكار السلفية النيّرة الرشيدة التي استطاعت رغم**

[1]- أبو الفتح عثمان بن جني, الخصائص, دار الهدى . بيروت ج1 , ص48.

[2] - السيوطي، المزهر،القاهرة ، ص22-23

ورع وزهد أصحابها أن توائم ما أمكن بين النقل والعقل ، و أن تغوص فيما وراء النص بفضل ما سخّرته من علوم متداخلة عصرية".[1]

3.اللغة و المجتمع:

لقد تناول الدكتور نايف خرما في كتابه موضوع اللغة بشكل عام ثم تطرق في الفصل الرابع من هذا الكتاب إلى الحديث عن اللغة و المجتمع، و قد تحدث في هذا الجانب عن اللغة من زاويتين الشكل أو البنية الظاهرة، و الوظيفة التي تؤديها اللغة في المجتمعات البشرية ، كما تطرق لعلاقة اللغة بالمجتمع و كيفية التأثير بينهما و ما يطأ على كل منهما من تغيير و تطور نتيجة لذلك. ثم تطرق إلى وظائف اللغة عند القدامى و المحدثين حيث كانت النظرة السائدة قديما تؤكد بأن اللغة وعاء للفكر وأن وظيفتها هي التعبير عن الفكر أما المحدثون فغالبا ما يرون أن وظيفة اللغة تقتصر على الاتصال . و أن اللغة تعتبر مظهرا من مظاهر السلوك الإنساني.

إن وظيفة اللغة في نقل الأفكار من أهم وظائفها جميعا و منذ اختراع الكتابة و تسجيل الأفكار ونقلها عبر القرون و كانت النتيجة هذه الحضارة المتقدمة جدا، وكان الخلاف الكبير حول علاقة اللغة بالفكر، فعلماء النفس من أتباع المدرسة السلوكية يعتبرون أن اللغة من الكلام الداخلي و أن كلا منها يعتمد على الآخر إذ لا نستطيع أن ننطق ما لا نفكر فيه، ثم ذهب نايف خرما إلى الحديث عن اللغة والحضارة ، فعلاقة اللغة بالفكر لا تخص الفرد وحده ، و طريقة تفكيره و لكنها تمتد لتشمل حضارات بأكملها ...فقد حاول كثيرون الربط بين طبيعة تركيب اللغة و بين طريقة تفكير المجتمع، حيث تبدو علاقة اللغة بالحضارة شبيهة بعلاقة اللغة و الفكر، كل منها يؤثر بالآخر، فنوع اللغة يحدد نوع الحضارة التي يعيشها مجتمع معين، و يقول **بنيامين وورف** في نفس الصدد: "**إن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار بل إنها نفسها التي تشكل تلك الأفكار فنحن**

[1] – عبد الجليل مرتاض، اللغة بين الوضع و الاعتباط، طبعة 2015، دار الأمل، ص 22.

نقسم الطبيعة أو العالم بموجب الخطوط التي ترسمها لنا لغاتنا القومية"[1]. و قد أجريت دراسات كثيرة وتجارب عديدة بعضها يثبت و بعضها ينقض سيطرة اللغة على الحضارة و المجتمع.كما يعتبر نايف خرما اللغة عنصرا مهما لتمييز مجتمع عن آخر كما أن الانتقال من مظهر من اللغة خاص بشريحة معينة إلى مظهر آخر يمكن أيحدث تدريجيا مع الشرائح دلالة واضحة ، حيث أن الأساليب اللغوية التي يستخدمها الفرد تتغير بفعل عوامل أخرى خارجة عن اللغة نفسها ، معظمها اجتماعي أو نفسي أو كلاهما معا.

4-اللغة و اللهجات:

"**الفرد عضو في عدة مجموعات في مجتمعه الكبير، و بشتى صفاته هذه يؤثر في اللغة التي يتكلمها أفراد المجتمعات الصغيرة و الكبيرة التي ينتمي إليها كما تؤثر اللغة السائدة في تلك المجتمعات في لغته أو لهجته**"[2].

إن اختيار الأسلوب أو الشكل اللغوي محكوم اجتماعيا و يتوقف على نظرة المجتمع ككل إلى الأشكال اللغوية المختلفة، و كثيرا ما يحدث الانتقال من شكل أو أسلوب لغوي إلى شكل أو أسلوب آخر في نفس المناسبة وفي نفس الكلام.

كما اتفق مع نايف خرما الدكتور **مُحَمَّد سعران** في كتابه "**اللغة و المجتمع**" إذ يعتبر أن دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة من أهم أبواب الدراسة اللغوية الحديثة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة، إضافة إلى ذلك فقط توافق مع نايف خرما في "**أن للغة أشكالا مختلفة تختلف من شكل لآخر حسب المناسبة والحالة التي يكون فيها الفرد مثلا: فالصلاة لها لغة خاصة من دعاء و قرآن والمناسبات والحفلات لها لغة خاصة كذلك الدراسة و الصف له لغة خاصة....**"[3]

---

[1]- بنيامين وورف، though and reality، 1956.

[2]– د. إبراهيم أنس ، كتاب اللهجات العربية، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ص 68.

[3] –د.محمود السعران، اللغة والمجتمع، ط2، 1963، ص27.

و من ناحية أخرى نجد الدكتور **عيسى برهومة** أيضا صاحب كتاب "**اللغة والجنس**" يتوافق مع نايف خرما أيضا في أن "**الإنسان مدني بطبعه يرتبط بالجماعة ليقيم أود حياته و يمنح عيشه للسيرورة والبقاء لذا تطلع إلى إقامة العلاقات مع الآخرين و تفاعل مع محيطه لتحقيق التفاعل الاجتماعي بواسطة اللغة. فاللغة أثرها في مناشط الحياة المتنوعة وهي وليدة الفرد والجماعة**"[1].

وعلى الرغم من أن اللغة ظاهرة اجتماعية إلا أن بعض اللغويين أنكروا هذا الارتباط بين اللغة والمجتمع ، إذ ينبغي أن تدرس اللغة في واقعها الذهني، و من هؤلاء اللغويين **هيرمان بول** الذي يرى أن اللغة الجماعية ليست إلا خليط من الكلام الفردي الذي يؤخذ به، و اللسان هو مسار خاص يتطور عند كل فرد بشكل مستقل.

و قد "**توجه عالم اجتماع اللغة هايمز بالنقد إلى البحث اللغوي الحديث، لإهماله المعطيات الاجتماعية في اللغة، و رمى علم اللغة بالتقصير لتركيزه على الشكل اللغوي مجردا أو منفصلا عن العناصر المؤثرة فيه مع أن صلة اللغة بالمجتمع وثيقة**"[2]. و من أنصار هذه المدرسة الاجتماعية **جاردنر** الذي أكد العنصر الاجتماعي في اللغة، "**وإذا كان الغرض من استعمال اللغة إرضاء رغبات من النوع الذي يمكنهم الحصول عليه دون مساعدة خارجية، ولكن اللغة بتعاملها المتعمد و المقصود مع الأشياء لا تفسر بكل تأكيد على أنها تعبير عن الذات بل يمكن تفسيرها و توضيحها بطريق الحقيقة الثابتة**"[3].

إن اللغة تعكس تنظيم المجتمع ولكنها أيضا وسيلة لبناء الواقع والسلوك اللغوي الذي يعكس الفروقات في القوة، و إن تنوعات اللغة مرتبطة بالاختلافات في الطبقة الاجتماعية و السلالة والعمر والجنس و اللغة مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة الناس اللذين يتكلمونها، ولعل علاقة التلاحم التي تربط

[1] – مسكويه، الهوامل و الشوامل ص6.

[2] – مصطفى لطفي ، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص45.

[3] – كمال بشير، علم اللغة الاجتماعي، ص31.

اللغة بالمجتمع أفضت إلى نهوض اللسانيات الاجتماعية برصد اللغة في سياقها الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة والثقافة.

اللغة تتأثر بشدّة بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها، وعقائدها و اتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها و نظرها إلى الحياة، وشؤونها الاجتماعية العامة و ما إلى ذلك، ولذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب، كلّما اتسعت حضارة الأمة، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها ورقي تفكيرها، نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتهذبت اتجاهاتها النفسية و تعدّدت فيها فنون القول، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق و الاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة....الخ ،واللغة مرآة ينعكس فيها كذلك ما يسير عليه الناطقون بها في شؤونهم الاجتماعية العامة، عقائد الأمة وتقاليدها وما تخضع له من مبادئ...كل ذلك و ما إليه يصبغ اللغة بصبغة خاصة في جميع مظاهرها، وكل هذا راجع إلى الدكتور **علي عبد الواحد وافي** في كتابه "**اللغة والمجتمع**" حيث يتفق مع الدكتور نايف خرما في كون اللغة نظام عام في كل مجتمع يشترك الأفراد في إتباعه، و يتخذونه أساسا للتعبير عما يجول بخواطرهم في تفاهمهم و مع بعضهم البعض، و اللغة ليست من الأمور التي يصنعها فرد معيّن أو أفراد معينون وإنما تخلقه طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير وتبادل الأفكار، "**وكل فرد ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه فيتلقى عنه سائر النظم الاجتماعية الأخرى. و اللغة من الأمور التي يرى كل فرد نفسه مضطرا إلى الخضوع لما ترسمه، وكل خروج عن نظامها ولو كان عن خطأ أو جهل يلقى من المجتمع مقاومة تكفل ردّ الأمور إلى نصابها الصحيح، فإذا أخطأ الفرد في نطق كلمة ما أو استخدمها في غير مدلولها ،أو خرج في تركيب عبارته عن القواعد التي ترسمها لغته، كان حديثه موضع سخرية من مستمعيه**"[1]. فاللغة عند د. علي عبد الواحد وافي هي ظاهرة اجتماعية. وهي بوصفها هذا تشكل موضوعا من موضوعات **علم الاجتماع**[2]. ودراسة أي ظاهرة اجتماعية تقتضي توضيح

[1] – د.علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص09.

[2] – أنشأ علم الاجتماع لدراسة اللغة بوصفها هذا فرعا من فروع علمهم سموه علم الاجتماع اللغوي أو السوسيولوجيا اللغوية.

حقيقتين إحداهما القوانين التي تخضع لها هذه الظاهرة في حياتها وتطورها وما يعتريها من شؤون ، وثانيتها مبلغ تأثرها بما عداها من الظواهر الاجتماعية الأخرى.

5.اللغة والجنس:

يرى الدكتور نايف خرما أن اللغة تختلف بعض الاختلاف بين الجنسين الذكر و الأنثى، خاصة عند النساء فهن يستعملن مفردات لا يستعملها الرجال إضافة إلى أنهن أكثر محافظة في استعمال اللغة من الرجال و تزداد هذه الفروق في الاستعمال كلما زاد انعزال المرأة عن الرجل، وكلما زاد انطواؤها في مجتمعها الخاص بها، بينما تقلّ تلك الفروق كلما انطبقت المرأة إلى المجتمع الواسع وشاركت الرجل في حياته وعمله...الخ ، كما انه في كثير من اللغات يعتقد انه تحيز ضد للرجل ضد المرأة، خاصة في اللغة الإنجليزية ويستشهدون بقاعدة التغليب المعروفة في اللغة العربية التي تقضي باستعمال ضمير المذكر للأسماء التي تشمل المذكر و المؤنث معا. ولازالت اللهجات العامية في معظم البلدان العربية تزخر بالأمثلة التي تشير إلى أن نظرة الرجل إلى المرأة لازالت متخلفة جدا. فلازلنا نسمع إشارات إلى الزوجة يستعمل فيها الرجل عبارات محافظة.

ولم يكن رأي الدكتور **عيسى برهومة** في كتابه "**اللغة والجنس**" مخالفا لرأي حيث يرى أن تصنيف الجنس في اللغة أسهم في خفاء مسألة المذكر والمؤنث، ويذكر **بروغمان** أن "**في اللغات الهندوأوروبية طريقتين للتعبير عن الفروقات في الجنس الطبيعي، إما بوجود جذور مختلفة التي تقع عليها الحركات الفتحة، الضمة، الكسرة، ولكن الحركات تختلف و مثالها كلمة deus التي تعني إله و كلمة dea التي تعني إلهة (مؤنث إله). ولم تستقر اللغة في اللغات الهندوأوروبية على حال في تعاطيها مع الجنس، بل طرأ عليها تغييرات عديدة خلال العصور**".[1]

وكذا تميّز العربية بين الجنس تصنيفا و اصطلاحان فالتذكير خلاف التأنيث، والذكر خلاف الأنثى في كل شيء، ولم يقتصر الاهتمام بمسألة التذكير والتأنيث على حقبة دون أخرى، بل ظل الجهد

[1] - عيسى برهومة، اللغة والجنس، ص 47.

موصولا قديما وحديثا، فبذل السابقون الوسع كله لمدارستها و تبعهم جيل من المستشرقين و المحدثين العرب رغبة في استجلاء مسألة الجنس في اللغة و الوقوف إلى حلّها.

بينما كان موقف الدكتور **محمود سعران** من هذا الموضوع بأن اللغويين ساهموا في إيجاد روابط بين اللغة و الجنس، إذ أن العلاقة بينهما لا تكمن في الذكر و الأنثى، بل المقصود كل الأجناس والمذاهب...الخ وقد نتج عن الدراسات اللغوية المقارنة ونظرية العائلات اللغوية أن رأى كثير من اللغويين والمفكرين أن اللغات الهندوأوروبية أسمى من سواها كالسامية والحامية وان ما سموه الجنس الهندوأوروبي أو الجنس الآري أسمى الأجناس.

الحديث عن اللغة والجنس من الحديث عن اللغات المختلفة، فمن اللغويين من يصف بعض اللغات بالقصور في هذا الجانب، و"**هذه اللغات مرّت بظروف تاريخية خاصة وهي ليست ثابتة بل متغيرة والتغيير الذي يصيبها دائم الحدوث و إن اختلف سرعة وطبيعة وعمقا وفق ما يصيب الجماعة التي تتكلمها من التغييرات الحضارية**"[1].

و في نظر **ديمتريوس ثانا سولاس** في كتابه "**اللغة والنوع(الجنس)**" فإن العلاقة الوطيدة بين اللغة والجنس هي القضية الرئيسية المزعجة في علم اللغة الاجتماعي، لذا علينا أن نعامل اللغة كممارسة اجتماعية محملة بالقيم، وهي الممارسة التي تعكس شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية داخل مجتمع معين، على سبيل المثال في مجتمع ما حيث يكون الرجال هم المتفوقون اجتماعيا على النساء لا أحد يستطيع أن ينكر أن السلوك اللغوي لا ينفصل عن المجتمع وقيمه ، فالاختلاف الطفيف في لغة الجنسين يكشف لنا أن النساء لسن على مساواة مع الرجال، أخيرا نستطيع أن نقول "**إن فحص استخدام اللغة ربما يقودنا إلى كشوفات مهمة تتعلق ببنية المجتمع أو**

[1] – مُحَمَّد السعران، اللغة والمجتمع، ص68.

القيم والتوقعات المصاحبة التي تتخله وتحديد الطرق التي ننظر فيها إلى الأفراد وكيفية معاملتهم. و من المثير للاهتمام أن اللغة دائما تفصح عن نفسها ضمنيا أكثر مما تعني حرفيا"[1].

ويذكر الدكتور **رمضان عبد التواب** أن "**اللغة أعظم ما أوتي البشر، و لولاها ما نشأت المدنية، و هي كما قال هايدغر: "سكن الكائن" حتى بلغت القداسة عند الشعوب القدسية، وهي لا تستقر إلا داخل كتلة اجتماعية محددة، فأدرك العلماء في العصر الحديث علاقة اللغة بالمجتمع الذي تعيش فيه، ومدى تأثرها وتأثيرها عليه، كما عرفوا الصلة القائمة بين اللغة والنفس الإنسانية ".**[2]

كما أنّ "**اللغة لا تكشف عن قيم الحضارة فحسب لكنها تدل أيضا على أنماط العلاقة بين الناس، وإنما هي التي تفصح عن العلاقات الشخصية و القيم الثقافية . وإذا تغير المجتمع ثم أتبعه تغير اللغة ، بذلك تؤدي اللغة وظيفتها كظاهرة اجتماعية"**[3].

و قد عرفت اللغة عدة اختلافات من حيث تحديدها ثم من حيث وظيفتها وعلاقتها بالمجتمع والجنس، فدأب بعض اللسانيين أمثال سوسير أبو اللسانيات الحديثة إلى أن وظيفة اللغة هي التواصل حين قال: "**إن اللغة نظام من الاشارات التي تعبّر عن الأفكار والمعاني"**[4]. فاللغة هدفها هو التواصل والتبليغ خاصة عند تقابل الصورة السمعية والمفهوم ، وقد اعتبر اللغويون أن اللغة كنفا من الأنظمة التي يستخدمها البشر من أجل التعبير عن الفكر والتواصل في مختلف المجتمعات و بين كل الأجناس على مدى اختلافها.

[1] – ديمتريوس ثانا سولاس ، اللغة والنوع (الجنس) ترجمة علاء هاشم، ص 15.

[2] – رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، ط1، 1997، ص03.

[3] – معاذ مها مُحَمَّد فوزي، الأنثربولوجية اللغوية، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، ط01، 2011، ص120.

[4] – مبارك حنون، مدخل للسانيات سوسير، ص 34.

و من العلماء من يقول بأن "**اللغة متجانسة مع المجتمع و أنها فعل يوصل إلى معرفة الحقيقة الموجودة أو هي ألفاظ دالة على ما في نفوس أفراد المجتمع**".[1]

[1] – فندريس جوزيف ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي وغيره، المركز القومي للترجمة، 2014، ص03.

خاتمة

خاتمة:

وصلنا إلى نهاية هذا البحث وقد تعرّفنا على أنواع على أنواع الدراسات المختلفة التي يقوم بها العلماء الغربيون في أمريكا وأوروبا على اللغات إجمالا وعلى لغاتهم القوميّة على وجه الخصوص، حيث يسعى هذا النشاط في مجال البحث اللغوي على تطوير الدراسات اللغوية في مختلف الميادين، تؤيدها المؤسسات العلمية والحكومية في أرجاء العربي لتلحق بالأمم المتقدمة، فاللغة لقيت من الاهتمام والدراسة في العصور الإسلامية الأولى ما لم تلقه لغة أخرى جديرة بأن تلقى مثل ذلك الاهتمام في عصر يسّرت فيه سبل البحث العلميّ وتوافرت فيه الأموال.

و في الختام و بالنظر إلى التاريخ الطويل جدّا لدراسات اللغة، وللتراث الهائل من المؤلفات نجد أن الدكتور نايف خرما تطرق إلى الدراسات المعاصرة للغة من مختلف الجوانب أملا في تطوير و إيجاد تقنيات و حلول أخرى للدراسة ، إضافة إلى أن معظم اللغات التي أجريت عليها هذه الدراسات الحديثة هي لغات أجنبية،وخاصة اللغة الإنجليزية ثم مقارنتها باللغة العربية، خاصة وأن معظم المحاولات الأولى للدرس اللغوي التي تمّت في أماكن مختلفة من العالم كانت مرتبطة بالعقيدة والدين،إذ بدأت في البداية لخدمة الكتاب المقدس.

و على الرغم من أن المجال لم يتسع لذكر عدد كبير من مجالات الاهتمام هذه إلا أن هذا الكتاب كان ردّا على بعض التساؤلات التي تراود القراء عن فائدة مثل هذه الدراسات اللغوية، و عن اللغة عموما كونها أهم مظهر من مظاهر السلوك الإنساني. حتى قال **زكي نجيب محمود**:"**من اللغة تبدأ ثورة التجديد، حيث أن اللغة هي الوسيلة التي لا وسيلة سواها لنشأة المعرفة الإنسانية وتكوينها وتطويرها أو جمودها في بعض الأحيان**". و نظرا لما لها من أهمية بالغة وشأن عظيم كان لزاما علينا أن نبحث و لو قليلا عن سر هذه الخاصية، و نسأل الله أن نكون قد وفقنا إلى حد ما في بلوغ مقصدنا.

قائمة المراجع والمصادر

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية :

01-إبراهيم أنس ، كتاب اللهجات العربية، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة.

02-ابن فارس, الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها.مؤسسة بدران. بيروت ط 1963

03-أبو الفتح عثمان بن جني, الخصائص, دار الهدى . بيروت ج1.

04-السيوطي، المزهر،القاهرة.

05-القرآن الكريم, سورة البقرة.

06-ديمتريوس ثانا سولاس ، اللغة والنوع (الجنس) ترجمة علاء هاشم.

07-رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، ط1، 1997.

08-ريبو . تطور المعاني الكلية

09-عبد الجليل مرتاض, اللغة بين الوضع و الاعتباط , دار الأمل, ط2015.

10-علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع.

11-علي عبد الواحد وافي. نشأة اللغة عند الانسان و الطفل.مكتبة الجامعة الأمريكية. القاهرة.الطبعة الأولى.

12-عيسى برهومة، اللغة والجنس.

13-فندريس جوزيف ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي وغيره، المركز القومي للترجمة، 2014.

14-كمال بشير، علم اللغة الاجتماعي.

15-مبارك حنون، مدخل للسانيات سوسير.

16-مُحَمَّد السعران، اللغة والمجتمع.

17-محمود جاب الرب. علم اللغة نشأته وتطوره, دار المعارف.ط1 سنة 1985.

18-مسكويه، الهوامل و الشوامل .

19-مصطفى لطفي ، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي.

20-معاذ مها مُحَمَّد فوزي، الأنثربولوجية اللغوية، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، ط01، 2011.

21- نايف خرما. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. منشورات عالم المعرفة .**1978**.

المراجع باللغات الأجنبية:

01- kohler.intellegence des singes superieurs.p 294.

02- marinaya guello. Pour comprondre la linguistique.

03- بنيامين وورف، though and reality1956 .

04- eric lenneberg. « Boilogical aspects of language in g. miller psychology and communication.voice of america. 1974.

05- Branden Maher.language and psycopathology . in g miller